التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٧٨ السنة التاسعة والأربعون - صفر ١٤٤١ هـ
الثمن ٥ جنيهات

كشمير
أفغانستان
باكستان
الهند

كشمير

جنة الله في الأرض .. ونزاع متجدد

التطير والتشاؤم بشهر صفر

أحكام وحساب زكاة كسب العمل

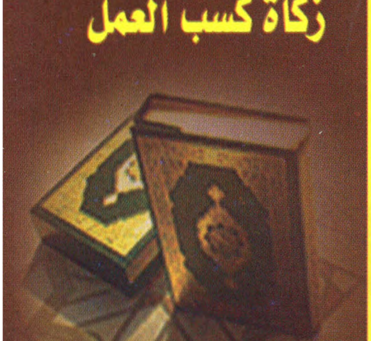

مواجهة المكر بالشرع

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام
WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت:٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

إلى من أغلقوا باب العمل

الإمام الأوزاعي رحمه الله ذاق مرارة اليتم، فقد كان يتيمًا فقيرًا في حجر أمه ورعايتها، تنقله أمه من بلد إلى بلد، حتى بلغ من العلم مبلغًا عظيمًا؛ فقيل عنه: عجزتْ الملوك أن تؤدب نفسها وأولادها أدب الأوزاعي في نفسه. وقد ظهر علمه وأدبه في أفعاله وأقواله، فقال يومًا: «إذا أراد الله بقوم شرًّا فتح عليهم باب الجدل، ومنعهم العمل». ومثل هذا الكلام جاء عن معروف الكرخي قال: «إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرًّا فتح له باب الجدل، وأغلق عنه باب العمل».

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: دَخَلَ الْحَسَنُ الْمَسْجِدَ وَمَعَهُ فَرْقَدُ؛ فَقَعَدَ إِلَى جَنْبِ حَلْقَةٍ يَتَكَلَّمُونَ، فَنَصَتَ لِحَدِيثِهِمْ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى فَرْقَدٍ؛ فَقَالَ: يَا فَرْقَدُ، وَاللَّهِ مَا هَؤُلَاءِ إِلَّا قَوْمٌ مَلُّوا الْعِبَادَةَ وَوَجَدُوا الْكَلَامَ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ وَقَلَّ وَرَعُهُمْ فَتَكَلَّمُوا».

ولأن العلماء ورثة الأنبياء؛ فهؤلاء العلماء ما قالوا هذا الكلام إلا مما ورثوه من نبيهم عليه الصلاة والسلام الذي قال: «ما ضَلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانُوا عليه إلّا أُوتُوا الجَدَلَ ثُمَّ تَلَا رسولُ الله صلي الله عليه وسلم هَذه الآيَةَ ما ضَرَبُوهُ لكَ إلّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قومٌ خَصِمُونَ» (سنن الترمذي ٣٢٥٣، وقال: حسن صحيح).

والواقع ينطق بأعلى صوت ليقول: صدق رسول الله.

التحرير

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: التطير والتشاؤم بشهر صفر: د. عبد الله شاكر ٢
كلمة التحرير: كشمير جنة الله في الأرض ونزاع متجدد: رئيس التحرير ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٩
باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١١
من أخلاق أهل القرآن: د. أسامة صابر ١٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
منبر الحرمين: د. فيصل بن جميل غزاوي ٢٦
من روائع الماضي: مواجهة المكر بالشرع: الشيخ صفوت نور الدين، رحمه الله ٣٢
السلفية منهج حياة: د. أحمد سبالك ٣٤
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
لغة الجسد وأهميتها: د. ياسر لمعي ٤١
بحار الفتن وسفن النجاة: د. عماد عيسى ٤٤
إعلام أهل الديانة بوجوب أداء الأمانة: المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٤٧
باب الأسرة: عام دراسي جديد.. وقفات وهمسات: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
من الأحداث المهمة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد عيد ٦١
الشفاعة في الدنيا والآخرة: صلاح نجيب الدق ٦٥
نظرات في أحكام فرقة الطلاق: محمد عبد العزيز ٦٩

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم ١٩١٥٩٠/

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

افتتاحية العدد

التطير والتشاؤم بشهر صفر

الرئيس العام

أ.د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فإن التطير والتشاؤم من أعمال الجاهلية، وكانت تكثر في الأمم قبل الإسلام، والطِّيَرة بكسر الطاء وفتح الياء: التشاؤم بالشيء، وهو مصدر تطيَّر، وأصله فيما يقال: التطير بالسوائح والبوارح.. الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدُّهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٥٢/٣).

والمكذبون برسل الله-صلوات الله وسلامه عليهم- كانوا يتطيرون برسلهم، كما ذكر الله ذلك في كتابه في أكثر من موطن، منها ما ذكره عن آل فرعون في قوله: « وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » (الأعراف: ١٣٠، ١٣١)، ومعنى الآيتين أن الله تبارك وتعالى كان يعاقب أعداء الرسل بالجدب والقحط ونقص الثمرات لعلهم يتعظون ويرجعون عن كفرهم، ولكنهم لم ينتفعوا بذلك واستمروا على كفرهم وفسادهم، ولم يكتفوا بذلك، بل نسب قوم فرعون ما حلَّ بهم من عذاب إلى موسى- عليه السلام- ومن معه، كما ذكر ربنا في قوله: « وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ » (الأعراف: ١٣١)، وقد أبطل الله قولهم، ورد عليهم قائلاً: « أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ » (الأعراف: ١٣١)، أي: بقضاء الله وقدَره، وقد قابل المكذبون بالرسل أنبياءهم بالتطيُّر منهم، فقد ذكر الله تبارك وتعالى ذلك عن بعض الكفار مع نبينا صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: « وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟

هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا » (النساء:٧٨)، وذكر نحوه أيضًا عن قوم ثمود مع نبي الله صالح عليه السلام في قوله: «قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ » (النمل:٤٧)، وذكر نحو ذلك عن القرية التي جاءها المرسلون في قوله: «قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ »(يس:١٨).

وفي كل موطن يردّ الله عليهم قولهم ويبيّن لهم أن شؤمهم بسبب كفرهم ومعاصيهم، لا من قبل الرسل، وقد أشرت إلى ذلك في ردّ الله على قوم فرعون في سورة الأعراف، وكما ردّ الله عليهم في سورة «يس» قائلاً: «قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ » (يس:١٩)، وقد أبطل الإسلام التطير والتشاؤم بالأزمنة أو الأمكنة، وقرر عقيدة التوحيد التي تسند كل ما يقع في الكون إلى خالق الأكوان ومصرف الأمور، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى ولا طِيَرة ولا هامة ولا صفر». (البخاري: ٥٧٥٧، ومسلم: ٢٢٢٠).

والمراد بقوله: «لا عدوى» أنه نفي لما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من أن هذه الأمراض تعدي بطبعها من غير اعتقاد أن الله هو مقدّر ذلك، ولما سمع أعرابي هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم قال له: فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال له صلى الله عليه وسلم: «فمن أعدى الأول»؟! (البخاري: ٥٧١٧).

وهذا جواب في غاية الحسن من النبي صلى الله عليه وسلم، ومعناه: أن الأول قد جرب بقضاء الله وقدره، فكذلك الثاني وما بعده، ويدل على ذلك قول الله تعالى: «مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ » (الحديد:٢٢).

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا طِيَرة»: نفي لما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من التشاؤم والتطير بالطيور ونحوها، وكان أهل الجاهلية مولعين بذلك، فكان الواحد منهم إذا خرج لأمر فرأى ما يحب مضى، وإذا رأى ما يكره انصرف، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب نفع، أو دفع ضر. (انظر: شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٠).

وقد ذكر الشافعي رحمه الله أن الرجل في الجاهلية كان إذا أراد حاجة أتى الطير ساقطًا أو في وكره فنفّره، فإذا أخذ ذات اليمين مضى لحاجته، وإن أخذ ذات الشمال رجع، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. (انظر: لسان العرب ١٣/ ٤١٣).

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا هامة» قال النووي رحمه الله في معنى هذه الكلمة: «فيه تأويلان: أحدهما: أن العرب كانت تتشاءم بالهامة، وهي الطائر المعروف من طير الليل، وقيل: هي البومة. قالوا: كانت إذا سقطت على دار أحدهم رآها ناعية له نفسه، أو بعض أهله، وهذا تفسير مالك بن أنس، والثاني: أن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت وقيل روحه تنقلب هامة تطير، وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور، ويجوز أن يكون المراد النوعين جميعًا، فإنهما جميعًا باطلان، فبين النبي صلى الله عليه وسلم إبطال ذلك وضلالة الجاهلية فيما تعتقده من ذلك». (انظر: شرح النووي على مسلم ١٤/ ٢١٥).

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا صفر» فقد اختلف في تفسيره، فقال كثيرٌ من

المتقدمين: الصفر داء في البطن يقال: إنه دود فيه كبار كالحيات، وكانوا يعتقدون أنه يعدي فنفى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وممن قال هذا من العلماء: ابن عيينة والإمام أحمد وغيرهما، وقالت طائفة: بل المراد بصفر شهر صفر، ثم اختلفوا في تفسيره على قولين: أحدهما: أن المراد نفي ما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهذا قول مالك. والثاني: أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وهذا حكاه أبو داود عن محمد بن راشد المكحولي، وقد رجح الحافظ ابن رجب هذا القول، حيث قال عقب ذكره: «ولعل هذا القول أشبه الأقوال، وكثير من الجهال يتشاءم بصفر وربما ينهى عن السفر فيه، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء». (لطائف المعارف ص١٠٩، ١١٠).

وقد نفى وأبطل النبي صلى الله عليه وسلم كل هذه المعتقدات الفاسدة في حديثه السابق: «لا عدوى ولا طيرة...» وقد علَّق ابن القيم على هذا الحديث بقوله: «وهذا يحتمل أن يكون نفيًا وأن يكون نهيًا أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: «ولا عدوى ولا صفر ولا هامة» يدل على أن المراد النفي، وابطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعاينها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه». (مفتاح دار السعادة ٢/٥٨٨).

ومع إبطال النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعتقدات ونفيه لها، إلا أننا نجد بعض الناس ما زالوا يعتقدون معتقدات فاسدة ويأتون بأعمال لا أصل لها في شهر صفر، ومن ذلك ما ذكره الشيخ إبراهيم بن محمد الأنصاري أن بعض الجاهلين قال: «إنه ينزل في كل سنة ثلاثمائة وعشرون ألفًا من البليات، وكل ذلك في يوم الأربعاء الأخير من صفر، فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة كلها، فمن صلى في ذلك اليوم أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وسورة الكوثر سبع عشرة مرة، والإخلاص خمس عشرة مرة، والمعوذتين مرة، ويدعو بعد السلام بهذا الدعاء، حفظه الله بكرمه من جميع البليات».

ونص الدعاء المذكور هو: «اللهم يا شديد القوة، ويا شديد المحال، يا عزيز، يا من ذلت لعزتك جميع خلقك، اكفني من شر خلقك...»، وقد اشتمل هذا الدعاء على توسلات بدعية تتنافى مع العقيدة الإسلامية، وهو من ضلالات المبتدعة، كما لا يخفى ذلك على أهل التوحيد والسنة. (انظر رسالة ري الظمآن في فضائل الأشهر والأيام).

كما ذكر الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله أن بعض الناس يجتمعون في آخر أربعاء من شهر صفر بين المغرب والعشاء، ويتحلقون إلى كاتب يكتب لهم على أوراق آيات السلام السبع على الأنبياء، كقوله تعالى: «سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ» (الصافات:٧٩)، ثم يضعونها في الأواني ويشربون من مائه. (انظر إصلاح المساجد من البدع والعوائد ص١١٦).

وكل هذه الأمور مخترعة ولا أصل لها في دين رب العالمين، والواجب على المؤمن أن يتوكل على ربه ومولاه، ولا يتشاءم بشيء من الأزمنة أو الأمكنة، فالزمان والمكان لا دخل له في التأثير، وعليه أن يعتقد أن كل شيء بتقدير رب العالمين وخلقه، وهو المتصرف في الكون وحده- سبحانه وتعالى-، والحمد لله رب العالمين.

كشمير

جنة الله في الأرض

.. ونزاع يتجدد

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله ناصر المستضعفين، وقاهر الظالمين، ومُعِزِّ المتقين، وبعدُ:

تدور بنا الأيام وتَعْصِفُ بنا الدنيا، وتنقضي الليالي، وتدور بنا الأحداث والوقائع، وما زالت الشعوب الإسلامية تتذوق ويلات التآمر العالمي على الإسلام والمسلمين من كل فجّ عميق، فبينما تتأجج قضية المسلمين الأولى: فلسطين والقدس والأقصى بين الطفو فوق سطح الأحداث العالمية، وبين الانشغال عن القضية بصراعات تشتعل صراعات وفتن ومؤامرات في بقاع شتَّى من العالم الإسلامي تشغل العالم، حتى تكاد القضية تختفي من بؤرة الاهتمام، ويبدأ ظهور الاتفاقيات السرية التي حِيكَتْ في ظلام دامس لتنفيذ مؤامرة التفكيك والتفتيت التي وُضِعَتْ بعد تقسيم الغنائم بين دول الاستعمار الجديد ودول المصالح، والقوى الإقليمية صاحبة الأطماع وسط سعار بسط النفوذ في المنطقة، حتى تشتَّت قضية المسلمين الأولى؛ فلسطين، وفي ظل الانشغالات وحالات التيه التي تعيشها الدول العربية والإسلامية تطفو على السطح قضية أخرى لا تقل أهمية عن قضية المسلمين الأولى أهميةً، وتتأجج نتيجة لمواقف الهند التي لا تختلف عن مواقف العدو الصهيوني في فلسطين، إنها قضية: جامو وكشمير التي طالما ذاق أهلها الويلات وعانوا من جرائم الإبادة؛ لا لشيء سوى لأنهم مسلمون، يعيشون في جامو وكشمير التي تعتبر جنة الله في الأرض، فهل ستظل قضية كشمير «منسيَّة»؟! وإلى متى ستظل قضايا المسلمين منسية؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إقليم كشمير .. جنة الله في الأرض:

القضية المنسية في ظل حالة التيه التي تعيشها معظم بلدان المسلمين؛ قضية كشمير المعروفة بـ«جنة الله في الأرض»؛ لما أنعم الله تعالى عليها من طبيعة خلابة، ومناظر جذابة؛ كحقول وبحيرات عذبة، وتلالٍ تمر بها جداول رقراقة، بالإضافة لطقسها المُمتع البديع، ومع ذلك فقد فقدت كل هذا التميز،

وتحولت لقبور موحشة، وقِفَار مهجورة؛ بسبب ما فعله الاحتلال الهندي بشعبها من جرائم وحشية؛ من تعذيب، واعتقال، وتشريد، وهتك للأعراض، وإهلاك للحرث والنسل، لا لشيءٍ سوى أنه شعبٌ مسلم يطالب بحقه في تقرير مصيره، والانضمام لباكستان المسلمة.

نبذة مختصرة عن كشمير المسلمة

يقع هذا الإقليم وسط آسيا، شمال غرب باكستان والصين وشبه القارة الهندية، وتُعْرَف بأنها المنطقة السهلة في جبال الهيمالايا، ويبلغ عدد سكانها خمسة عشر مليون نسمة، حسب إحصائيات عام ٢٠٠٢م، ونسبة المسلمين فيها تقدر بـ٩٠٪، والهندوس ٨٪، والبوذيون ١٪، إذ يتكون الشعب الكشميري من جنسيات مختلفة؛ أهمها الأتراك، والأفغان، والأريون، والمغول، ويتحدثون عدة لغات منها: الكشميرية، والهندية، والأردو، ويستخدمون الحروف العربية في الكتابة.

وصول الإسلام إلى كشمير:

وصل الإسلام إلى كشمير في القرن الأول الهجري في زمن «محمد بن القاسم الثقفي»، إذ اعتنق «رينجن شاه» الحاكم الكشميري البوذي الإسلام عام ١٣٢٠م على يدي سيد بلال شاه، وهو رحَّالة مسلم من تركستان، وفي خلال فترة حكم «شاه مير» أول حاكم مسلم لكشمير؛ حيث قويت شوكة الإسلام، وانخرط العلماء الذين قدموا من وسط آسيا في صفوف الجماهير لتبليغ دين الله، وضمَّها «جلال الدين أكبر» إلى دولة المغول الإسلامية عام ١٥٨٧م، واستمر الحكم الإسلامي فيها خمسة قرون، وتعتبر هذه الفترة هي العصر الذهبي لكشمير؛ نظرًا لما تمتع به الشعب الكشميري من حرية وسلام تحت رعاية حكم المسلمين، ولكن لم تدم عليهم نعمة الحكم الإسلامي، فتم الاستيلاء على كشمير من قِبَل «رانجيت سينج» الذي فرض الضرائب، وأجبر الناس على العمل بدون أجر، وسنَّ قوانين عنصرية ضد المسلمين، وأغلق العديد من المساجد، ومنع الصلاة فيها، وقد تمت هزيمة السيخ أمام الإنجليز عندما احتلوا كشمير، وجعلوا «جولاب سيخ» الحاكم الجديد لها تحت رعاية البريطانيين حتى عام ١٩٤٧م.

وبعد اتفاقية «أمرستار» أصبحت المنطقة محل صراع بين الهند البريطانية وباكستان وجمهورية الصين.

اتفاقية «أمرستار» وتقسيم شبه القارة الهندية

احتلت بريطانيا شبه القارة الهندية عام ١٨١٩م، وقد دافع المسلمون عنها دفاعًا كبيرًا، واستمرت الحرب لفترة طويلة سجالاً بين المسلمين وبين بريطانيا ومن يعاونوها من هندوس وسيخ وبوذيين، ولم تستطع بريطانيا السيطرة عليها إلاَّ بعد ٢٧ عامًا من المقاومة الإسلامية وبعد اشتداد الحرب بينهم.

بعد استيلاء بريطانيا على كشمير وُقِّعَتْ اتفاقية تعرف باتفاقية «أمرستار» في العام: ١٨٤٦م، تم بموجبها تقسيم شبه القارة الهندية إلى أقسام؛ ٥٥٪ منه حكمته بريطانيا بطريقة مباشرة، ويوجد فيه عدد كبير من المسلمين، وقسم آخر هو كشمير، وقد أَجَّرَتْهُ بريطانيا إلى الإقطاعيين الهندوس لمدة مائة عام، يقول المفكر «أبو الأعلى المودودي»: «إن رجال السياسة البريطانيين هم الذين أوجدوا قضية كشمير». وكانت هذه هي أول مرة يقع فيها أغلبية المسلمين تحت حكم أقلية غير مسلمة منذ دخولهم الإسلام، وعانى المسلمون خلال قرن من الزمان من الظلم والاضطهاد والإبادة، وتم منعهم من تولي الوظائف العسكرية والمدنية؛ حيث تعاقبت على الحكم خلال هذا القرن ٢٨ حكومة لم يكن فيها مسلم واحد، وفُرِضت عليهم ضرائب شديدة، وعانوا من أجل أداء شعائر دينهم وعباداتهم، وكان الهندوسي إذا أسلم تتم مصادرة أملاكه، بعكس إذا ما ارتد عن الإسلام فإنه ينعم بحياة رغدة!!

الاحتلال الهندي لكشمير والإبادة الجماعية للمسلمين

أعلن حاكم كشمير في العام ١٩٤٧م ضمها للهند، ولكن هذا القرار قد أنذر بقيام ثورة اضطرته للفرار إلى ولاية جامو، وأقام الثوار حكومة مؤقتة عرفت بـ«أزاد وكشمير»، وتعني: كشمير الحرة، وتوصلوا إلى إبرام اتفاقية

تنص على إبقاء الوضع كما كان في زمن الاحتلال البريطاني، بأن تكون كشمير تابعة لباكستان، ولكنَّ حاكم كشمير الهندوسي نقض الاتفاق واستعان بالجيش الهندي لقمع الثورة، وتدخلت باكستان بجانب ثوار كشمير. وقد خاضت الهند مع باكستان ثلاثة حروب في أقل من ربع قرن من أجل تلك القضية، وانتهت المواجهات بينهما في كشمير باحتلال الهند لثلثي كشمير، وأدمجت كشمير وجاموا مع الاتحاد الهندي، ولكن باكستان ما زالت تُصعِّد القضية في المحافل الدولية.

وفي خضم حالة التيه التي يعيشها المسلمون وانشغالهم عن قضيتهم في جامو وكشمير، تم قتل أكثر من ٣٠٠ ألف مسلم في إقليم؛ جامو وحده على يد القوات الهندوسية، وأجبر أكثر من ٥٠٠ ألف مسلم على الهجرة لباكستان، وبذلك تحولت جامو من أغلبية مسلمة إلى أقلية، ودفعت هذه الإبادة إلى تدخُّل المسلمين من باكستان لدخول كشمير لمساعدة إخوانهم، وتمكنوا من تحرير هذه المناطق، وأوشكوا على الوصول إلى العاصمة «سرينجر»، وتزامن هذا مع تزوير حكومة الهند وثيقة باسم الملك الهندوسي وجعلها وثيقة تبرِّر بها إدخال قواتها إلى الولاية، واشتركوا مع جيش الملك الهندوسي في إبادة المسلمين؛ حيث أعلنوا أن مَنْ يريد الهجرة إلى باكستان عليهم التجمع في مكان واحد، وستقوم الحكومة بمساعدتهم في هجرتهم، وعندما تم اجتماع المسلمين في مكان واحد أطلقوا عليهم النار، واسْتُشْهِدَ منهم نصف مليون مسلم، وأُسِرَتْ الآلاف من النساء المسلمات، وهتكوا أعراضهن، ولم يستطع العبور لباكستان سوى نصف مليون مسلم.

وتشير الإحصائيات إلى أن ثمانية آلاف امرأة قد قُتِلْنَ على يد الجيش الهندي، وسبعة آلاف امرأة تَم اغتصابهن، وترملت ثلاثون ألف امرأة، فضلاً عن مائة ألف طفل يتيم، وقد وصل عدد الأسرى في السجون إلى ٤١٨٨ أسيرًا في عام ٢٠٠٣م، بالإضافة إلى مقتل مائة وخمسين رجلاً وشابًا جراء التعذيب في المعتقلات الهندية في عام ٢٠٠٤م.

ومنذ عام ١٩٨٩م قُتل أكثر من مائة ألف كشميري، وتعرضت أكثر من عشرة آلاف امرأة للاغتصاب في الشطر الخاضع للهند من الإقليم، مع استمرار أعمال المقاومة المسلحة من قِبَل الجماعات الإسلامية والوطنية.

جامو وكشمير وجمال الطبيعة الخلابة

تتميز جامو وكشمير بجمال الطبيعة وسحرها، فهي مناطق جبلية غزيرة الأمطار، تبلغ مساحتها حوالي: ٨٤٤٧١ ميلاً مربعًا، ويحدها الصين من الشرق والشمال الشرقي، وباكستان من الغرب والجنوب الغربي، والهند من الجنوب، بالإضافة إلى اشتراكها في بعض الحدود مع روسيا وأفغانستان، وتوجد بها جبال قرقوم التي ترتفع أكثر من خمسة آلاف متر، وتمتد من الشمال الغربي منها جبال هندكوش، ونظرًا لجمال الطبيعة بها أطلق عليها «جنة الأرض»، بل إن الإمبراطور المغولي «أكبر» قال عنها: «إنها جنة الأحلام.. وستكون حديقتي الخاصة»، لذلك بقيت كشمير هدفًا للغزاة من التتار والمقدونيين والمغول والهنود.

وتعتبر العاصمة الصيفية لجامو وكشمير «سرينجار» واحدة من أهم الوجهات السياحية في العالم، حتى إن البعض يطلق عليها اسم «الوادي السعيد»، كما أنه يتم تسليط الأضواء على المنازل العائمة بمدينة «الوادي الذهبي» الذي طالما سحر المغول والبريطانيين والسائحين والرحَّالة، ورغم ذلك فإن احتدام النزاع حول الإقليم الآن تسبب في حالة من الفوضى التي انعكست على ملامحه بعد أن ألغت الحكومة الهندية الوضع الدستوري الخاص الذي يتمتع به الإقليم، وفرضت تشديدات أمنية، أُغْلِقَت على إثرها المدارس والجامعات وطُلِبَ من السياح مغادرة البلاد.

وقد أعلنت الهند إلغاء المادة: ٣٧٠ من دستورها التي تنص على منح وضع خاص لإقليم كشمير، وتتيح للحكومة الهندية المركزية في نيودلهي سَنَّ التشريعات الخاصة بالدفاع والشؤون الخارجية والاتصالات في المنطقة، بينما يهتم البرلمان المحلي بالمسائل الأخرى، وشددت على أن هذا الأمر داخلي، وهو ما رفضته باكستان،

ودعاها إلى خفض العلاقات التجارية معها، وتقليل التمثيل الدبلوماسي والتعهد بالدفاع عن القضية أمام المجتمع الدولي.

وقد تصاعدت حدة التوتر على جانبي الحدود في كشمير بعد قيام الهند بنشر عشرة آلاف جندي على الأقل في الإقليم، وقالت بعض المصادر الإخبارية: إنها أرسلت نحو: سبعين ألف جندي إضافي، وهو عدد غير مسبوق، ومؤخرًا نشرت السلطات الهندية قوة أمنية إضافية في جامو وكشمير قوامها ١٢٥ ألف مقاتل من القوات شبه العسكرية، وقالت بعض المصادر العسكرية الهندية: إن عدد قوات الأمن في جامو وكشمير قد وصل إلى خمسمائة ألف عنصر.

زيادة كبيرة في أعداد مسلمي

ويبلغ عدد المسلمين في الهند حوالي ١٦٧,٢٠٠,٠٠٠ شخص، وهو ما نسبته ١٤,٢٪ من سكان البلاد، وهو ثاني أكبر الديانات الموجودة في الهند، ويظهر التأثير الإسلامي بصورة جلية في العمارة الهندية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الثقافة والسياسة الهندية.

وقد أظهر تعداد سكانيّ في الهند أن أعداد الهندوس انخفضت إلى أقل من ٨٠٪ من تعداد السكان للمرة الأولى منذ استقلال الهند عن بريطانيا عام ١٩٤٧م.

وقد عبر أعضاء من الحزب الهندوسي القومي الحاكم لرئيس وزراء الهند ماهنيدرامودي عن قلقهم من تنامي عدد المسلمين، كما أظهر التعداد أن عدد الهندوس انخفض إلى ٧٩,٨٪ من تعدد السكان البالغ ١,٢ مليار نسمة عام ٢٠١١م من ٨٠,٥٪ منذ عشر سنوات، وارتفع نصيب المسلمين إلى ١٤,٢٪ من ١٣,٤٪ عام ٢٠٠١م وكانوا الطائفة الدينية الوحيدة التي تشهد زيادة من تعداد السكان.

وقد وصل الإسلام إلى الهند من خلال التجار العرب الذين كانوا يتعاملون مع الموانئ الساحلية للهند؛ حيث إن كل ميناء في البلاد كان فيه عدد من الجماعات العربية المسلمة، لكن بقي الإسلام منتشرًا في المناطق الجنوبية من البلاد، ثم بدأت الجماعات المنبوذة في البلاد والضعيفة تعتنق الإسلام، وبعد فترة قصيرة دخلت قبيلة «تشرومن»، وقبيلة تيان إلى الإسلام، مما خلَّصهم من القيود الطبقية المفروضة عليهم، ثم انتقل الإسلام إلى مناطق الساحل الشرقي، والساحل الغربي، وإلى هضبة الدكن، وإلى الجزر الهندية، وبذلك أصبح سكان المناطق الجنوبية ذوي أغلبية مسلمة، وفي عام ٩٢هـ دخل الإسلام إلى المناطق الشمالية الغربية من خلال الغزوات التي قادها القائد محمد بن القاسم الثقفي، فأصبح إقليم السند، وشمال أراكان، وجنوب البنغال مناطق إسلامية، وانتشر الإسلام في البلاد خلال عصر الخلافة الإسلامية، والخلافة الأموية والخلافة العباسية، وحكم المغول، وبهذا انتشر الإسلام بكافة مناطق وأرجاء الهند، واليوم أصبح عدد المسلمين أكثر من مائتي مليون نسمة أيْ أكثر من ربع سكان الهند.

وما يحدث من العدو الصهيوني في فلسطين شبيهٌ بما يحدث في ولاية جامو وكشمير؛ حيث التحالف الهندوسي والتعاون بينهما في المجال النووي والعسكري، وإعلان الصداقة بينهما؛ هذا التعاون ليس بجديد فهو قديم قدم نشأتهم، ولكنه أخذ في التصاعد منذ نصف قرن ضد العالم الإسلام، فالتعاون بين البلدين يقوم على اغتصاب الحقوق وتدنيس مقدساتهم، وهدمهم للمساجد كما يتفق الجانبان الإرهابيان على معاداة وقتل المسلمين العزل في كشمير وفلسطين المحتلتين، ويمارسان أبشع أنواع البطش والقهر والتعذيب والتنكيل والحقد الدفين لقهر المسلمين.

وما يزال الاحتلالان الصهيوني البغيض والهندوسي المتطرف يقومان بالاعتداء الوحشي المستمر على شعبي فلسطين وكشمير، فلْنُفِقْ قبل فوات الأوان، وقبل ضياع القضيتين ومحوهما من الخارطة، كما حدث في الأندلس، ولنعلم بأن الله سوف يحاسبنا على تقصيرنا في حق شعبي فلسطين وجامو وكشمير، وهذا الدين منصور بإذن الله تعالى، « وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ » (الأنفال: ٣٠).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الْفَتْحِ

الحلقة السابعة

قال تعالى: « قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا »

(الفتح: ١٦ - ٢٠)

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ثُمَّ قَالَ الله تَعَالَى لِنَبِيِّه صلى الله عليه وسلم: «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ الله أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»؛ يَأْمُرُ الله تَعَالَى رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَقُولَ لِلْمُخَلَّفِينَ: إِنْ فَاتَتْكُمْ هَذِهِ الْفُرْصَةُ وَتَخَلَّفْتُمْ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْخُرُوجِ إِلَى مَكَّةَ لِلْعُمْرَةِ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَالله يَفْتَحُ لَكُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُعْطِيكُمْ فُرْصَةً أُخْرَى لِتَتَدَارَكُوا مَا فَاتَ، «سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ»: اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَعْيِينِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَرَادَهُمُ الله عز وجل اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَالْأَقَاوِيلُ إِنَّمَا تَكْثُرُ لِعَدَمِ الدَّلِيلِ، وَمَا دَامَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ دَلِيلٌ عَلَى التَّعْيِينِ فَلْنَسْكُتْ عَمَّا سَكَتَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ. «تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ» مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا قِتَالٍ، وَهَذِهِ فُرْصَةٌ جَعَلَهَا الله لَكُمْ، «فَإِنْ تُطِيعُوا» الله وَرَسُولَهُ وَتُجِيبُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ وَتَخْرُجُوا إِلَى قِتَالِ أُولَئِكَ الْقَوْمِ «يُؤْتِكُمُ الله أَجْرًا حَسَنًا» إِمَّا الْغَنِيمَةُ إِذَا انْتَصَرُوا، وَإِمَّا الْجَنَّةُ إِذَا قُتِلُوا، وَلَيْسَ لِلشُّهَدَاءِ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، «وَإِنْ تَتَوَلَّوْا» عَنِ الدَّعْوَةِ وَتَقْعُدُوا عَنِ الْخُرُوجِ «كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ» وَتَخَلَّفْتُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إِلَى الْعُمْرَةِ، «يُعَذِّبْكُمْ» الله «عَذَابًا أَلِيمًا» فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ثُمَّ رَخَّصَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأُولِي الضَّرَرِ فِي الْقُعُودِ وَرَفَعَ عَنْهُمُ الْحَرَجَ فِي عَدَمِ الْخُرُوجِ فَقَالَ: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ»، فَقَانُونُ التَّكْلِيفِ قَائِمٌ عَلَى قَاعِدَةِ: «لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» (البقرة: ٢٨٦).

ثُمَّ رَغَّبَ سُبْحَانَهُ

الْقَادِرِينَ الَّذِينَ لا عُذْرَ لَهُمْ فِي الاسْتِجَابَةِ وَالطَّاعَةِ، وَحَذَّرَ مِنَ الْقُعُودِ وَالتَّخَلُّف مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَقَالَ: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا»:

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَيُجِيبَ إِلَى حَرْبِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَإِلَى الْقِتَالِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ إِذَا دُعِيَ إِلَى ذَلِكَ، يُدْخِلْهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ، «وَمَنْ يَتَوَلَّ» أَيْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَيَتَخَلَّفْ عَنْ قِتَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدُعَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا مُوجِعًا، وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (جامع البيان(٢٦/٨٥)). كَمَا قَالَ تَعَالَى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» (التوبة: ٣٨-٣٩)

فَضَائِلُ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ:

«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا»:

يَقُولُ تَعَالَى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ» بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنْ يُنَاجِزُوا قُرَيْشًا وَلا يَفِرُّوا، «تَحْتَ الشَّجَرَةِ» وَكَانَتْ سَمُرَةً.

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب رضي اللَّه عنه مَرَّ بِذَلِكَ الْمَكَانِ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَتِ الشَّجَرَةُ، فَقَالَ: أَيْنَ كَانَتْ؟ فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ هَاهُنَا وَبَعْضُهُمْ هَاهُنَا، فَلَمَّا كَثُرَ اخْتِلافُهُمْ قَالَ: سِيرُوا، هَذَا التَّكَلُّفُ، قَدْ ذَهَبَتِ الشَّجَرَةُ، إِمَّا ذَهَبَ بِهَا سَيْلٌ، وَإِمَّا شَيْءٌ سِوَى ذَلِكَ (جامع البيان: ٢٦/٨٧)، وَكَانَ ذَهَابُهَا خَيْرًا، فَلَوْ بَقِيَتْ لَضُرِبَتْ عَلَيْهَا قُبَّةٌ، وَشُدَّتْ إِلَيْهَا الرِّحَالُ، فَإِنَّ الرَّعَاعَ سِرَاعُ التَّعَلُّقِ بِالْمَوَادِ وَالآثَارِ الَّتِي تَقْطَعُهُمْ عَنِ اللَّهِ. (فقه السيرة للغزالي.ت: الألباني، ص ٢٨٦).

عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: انْطَلَقْتُ حَاجًّا فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ يُصَلُّونَ، قُلْتُ: مَا هَذَا الْمَسْجِدُ؟ قَالُوا هَذِهِ الشَّجَرَةُ، حَيْثُ بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ. فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ سَعِيدٌ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَحْتَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ نَسِينَاهَا، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا. فَقَالَ سَعِيدٌ: إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَعْلَمُوهَا وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ، فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ. (صحيح البخاري ٤١٦٣).

ذِكْرُ مَا جَاءَ فِي عِدَّةِ الَّذِينَ بَايَعُوا وَفَضْلِهِمْ:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ)) (صحيح البخاري ٤١٥٩). وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: ((لا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا)). قَالَتْ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((قَدْ قَالَ اللَّهُ عز وجل: (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا). (صحيح مسلم: ٢٤٩٦).

وَعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((كَذَبْتَ، لا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ)). (صحيح مسلم ٢١٩٥).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» أَيْ مِنَ الصِّدْقِ، كَمَا عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْمَرَضِ، «فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ» حَتَّى بَايَعُوا عَلَى أَلاَّ يَفِرُّوا، وَفِيهِ مَعْنًى لَطِيفٌ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ قَبْلَ هَذِهِ الآيَةِ: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ»، فَجَعَلَ طَاعَةَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ عَلامَةً لإِدْخَالِ اللَّهِ الْجَنَّةَ فِي تِلْكَ الآيَةِ، وَفِي هَذِهِ الآيَةِ بَيَّنَ أَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ وُجِدَتْ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، أَمَّا طَاعَةُ اللَّهِ فَالإِشَارَةُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ»، وَأَمَّا طَاعَةُ الرَّسُولِ فَبِقَوْلِهِ: «إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»، بَقِيَ الْمَوْعُودُ بِهِ وَهُوَ

إِدْخَالُ الْجَنَّةِ أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ» لِأَنَّ الرِّضَا يَكُونُ مَعَهُ إِدْخَالُ الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ» (الْمُجَادَلَة: ٢٢).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» وَالْفَاءُ لِلتَّعْقِيبِ، وَعِلْمُ اللَّهِ قَبْلَ الرِّضَا، لِأَنَّهُ عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الصِّدْقِ فَرَضِيَ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ يُفْهَمُ التَّعْقِيبُ فِي الْعِلْمِ؟

نَقُولُ قَوْلُهُ: «فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: «إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: فَرِحْتُ أَمْس إِذْ كَلَّمْتُ زَيْدًا فَقَامَ إِلَيَّ، أَوْ إِذْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي، فَيَكُونُ الْفَرَحُ بَعْدَ الْإِكْرَامِ تَرْتِيبًا، كَذَلِكَ هَاهُنَا قَالَ تَعَالَى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» مِنَ الصِّدْقِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الرِّضَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْمُبَايَعَةِ فَحَسْبُ، بَلْ عِنْدَ الْمُبَايَعَةِ الَّتِي كَانَ مَعَهَا عِلْمُ اللَّهِ بِصِدْقِهِمْ، وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: «فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ» لِلتَّعْقِيبِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى رَضِيَ عَنْهُمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وَفِي «عَلِمَ» بَيَانُ وَصْفِ الْمُبَايَعَةِ بِكَوْنِهَا مُعَقَّبَةً بِالْعِلْمِ بِالصِّدْقِ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ. (التفسير الكبير: ٢٨/٩٥و٩٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» وَهُوَ مَا أَجْرَى اللَّهُ عزوجل عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ الصُّلْحِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ، وَمَا حَصَلَ بِذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ الْعَامِّ الْمُسْتَمِرِّ الْمُتَّصِلِ بِفَتْحِ خَيْبَرَ، وَفَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ فَتْحِ سَائِرِ الْبِلَادِ وَالْأَقَالِيمِ عَلَيْهِمْ، وَمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَالرِّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا». (تفسير القرآن العظيم: ٤/١٩١).

«وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا» هِيَ كُلُّ مَغْنَمٍ غَنِمَهَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ لَدُنْ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم.

«فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ» وَهِيَ غَنَائِمُ خَيْبَرَ، وَالْمُؤَخَّرَةُ سَائِرُ فُتُوحِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

«وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ»: قَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الْيَهُودُ، كَفَّ اللَّهُ أَيْدِيَهُمْ عَنْ عِيَالِ الَّذِينَ سَارُوا مِنَ الْمَدِينَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى مَكَّةَ. (جامع البيان: ٢٦/٨٩و٩٠).

وَقِيلَ: هُمْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ الْمُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا قَصَدَ خَيْبَرَ وَحَاصَرَ أَهْلَهَا هَمَّتْ قَبَائِلُ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَغَطَفَانَ أَنْ يُغِيرُوا عَلَى عِيَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَرَارِيِّهِمْ بِالْمَدِينَةِ، فَكَفَّ اللَّهُ أَيْدِيَهُمْ بِإِلْقَاءِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ.

وَقِيلَ: كَفَّ أَيْدِيَ أَهْلِ مَكَّةَ بِالصُّلْحِ. (معالم التنزيل: ٥/١٧٤).

وَرَدَّهُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَذَلِكَ أَنَّ كَفَّ اللَّهِ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَنْ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ قَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ: «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» فَعُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْكَفَّ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: «وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ» غَيْرُ الْكَفِّ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ: «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا».

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: «وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» أَيْ وَلِيَكُونَ كَفُّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَيْدِيَهُمْ عَنْ عِيَالِهِمْ آيَةً وَعِبْرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ، فَيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَوَلِّي حِيَاطَتَهُمْ وَكَلَاءَتَهُمْ - فِي مَشْهَدِهِمْ وَمَغِيبِهِمْ - بِالْحِفْظِ وَحُسْنِ الْوِلَايَةِ مَا كَانُوا مُقِيمِينَ عَلَى طَاعَتِهِ، مُنْتَهِينَ إِلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَلِيَعْلَمُوا بِصَنِيعِ اللَّهِ هَذَا بِهِمْ أَنَّهُ الْعَالِمُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَأَنَّ الْخِيَرَةَ فِيمَا يَخْتَارُهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَرِهُوهُ فِي الظَّاهِرِ، كَمَا قَالَ عزوجل: «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ» (البقرة» ٢١٦). (جامع البيان: ٢٦/٩٠).

«وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» يَقُولُ: وَيُسَدِّدُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ طَرِيقًا وَاضِحًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، فَيُبَيِّنُهُ لَكُمْ، وَهُوَ أَنْ تَثِقُوا فِي أُمُورِكُمْ كُلِّهَا بِرَبِّكُمْ، فَتَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِهَا، لِيَحُوطَكُمْ حِيَاطَتَهُ إِيَّاكُمْ فِي مَسِيرِكُمْ إِلَى مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ أَثَرَ فِعْلِ اللَّهِ بِكُمْ، إِذْ وَثِقْتُمْ فِي مَسِيرِكُمْ هَذَا.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

التطبيق المعاصر للزكاة

أحكام وحساب زكاة كسب العمل (الحِرَف والمِهَن الحرة والمرتبات)

إعداد أ.د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من مصادر كسب المال: العمل في المجالات الحلال الطيّبة، ومنها على سبيل المثال النجارة، والحدادة، والصباغة، والخراطة، والبرادة، والحياكة، والمحاسبة، والمراجعة، والمحاماة، الاستشارات المختلفة، والعمل الوظيفي وهكذا.

ويخضع هذا الكسب للزكاة ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ » (البقرة: ٢٦٧)، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم». (البخاري ومسلم).

ولقد ثار الخلاف بين الفقهاء حول التكييف الفقهي لزكاة أنشطة كسب العمل (الحرفي، والمهني، والوظيفي)، فمنهم من يرى قياسه على زكاة الزروع والثمار، ومنهم من يرى قياسه على زكاة المال المستفاد، ومنهم من يرى قياسه على زكاة النقدين، ولقد تركز الخلاف حول أسس تحديد الوعاء، ومقدار النصاب، ومقدار الزكاة، والحول.

ويختص هذا المقال باستنباط أحكام زكاة هذه الأنشطة حسب الرأي الأرجح من آراء الفقهاء، وبيان أسس حساب وعائها، ونصابها، ونسبتها في ضوء الواقع العملي، كما سوف نورد في نهاية المقال مجموعة من الفتاوى المتفرقة المعاصرة حول بعض التساؤلات التي تثار حول زكاة كسب العمل والصادرة عن مجامع الفقه، والهيئة

الشرعية العالمية للزكاة.

طبيعة نشاط كسب العمل:

من أهم مصادر كسب المال: النشاط الحرفي، والمهني، والوظيفي، وفيما يلي نبذة مختصرة عن طبيعة كل منهم لأهمية ذلك عند التكييف الفقهي لحساب الزكاة عليهم.

يقصد بالنشاط الحرفي: تصنيع، أو إصلاح، أو تركيب شيء ما بالاستعانة بالعدد والأدوات البسيطة نسبيًا، لعقد اتفاق ما يحدد المواصفات والشروط والأجرة والأجل يسمى الشخص الذي يقوم بهذا العمل: المحترف، ومن الأمثلة الشائعة على ذلك في الحياة العملية: ورش الإصلاح والصيانة، ورش الحدادة والخراطة والسباكة، ورش ومحلات التفصيل والحياكة والصباغة، ونحو ذلك، ومن المعالم الأساسية لهذا النشاط هو الاعتماد على الخبرة الحرفية واستخدام أساليب وأدوات ومستلزمات بسيطة، بجانب المجهود العضلي والذهني، وتأسيسًا على ذلك فإن هذا الكسب يقع تحت نطاق زكاة كسب العمل.

ويقصد بالنشاط المهني: قيام فرد ما بأداء خدمة للغير بمقابل معتمدًا على تأهيله العملي والعلمي والتراخيص التي يحصل عليها من الجهات المختصة لمباشرة المهنة، ويرتبط مع الغير بعقد ارتباط يوضح به طبيعة الخدمة وأجل تقديمها والأتعاب، ويقوم بهذا العمل شخص ممتهن معه ترخيص بمباشرة المهنة كما سبق الإشارة.

ومن الأمثلة الشائعة على ذلك في الحياة العملية: مهنة المحاسبة والمراجعة، ومهنة المحاماة، ومهنة الطب، ومهنة الاستشارات المختلفة، وما في حكم ذلك، ومن المعالم الأساسية للنشاط المهني أنه يعتمد على الملكة الفكرية الذهنية وليس العضلية، ويستخدم المهني أساليب وأدوات ومستلزمات بسيطة لمباشرة المهنة، ويدخل هذا النشاط في مجال زكاة كسب العمل.

ويقصد بالعمل الوظيفي: أداء عمل ما لآخر (صاحب العمل) وتحت إمرته، وفقًا لعقد العمل نظير أجر معلوم، ويسمى الشخص الذي يقوم بالعمل: موظفًا أو أجيرًا أو عاملاً، وكلها أسماء مترادفة، ويعتمد العامل في عمله على مجهوده العضلي أو الذهني أو هما معًا حسب طبيعة العمل الذي يقوم به، ومن المعالم الأساسية للعمل الوظيفي أنه يرتبط بعقد عمل، أي يدخل في نطاق زكاة كسب العمل.

ويعتمد من يقوم بالنشاط الحرفي والمهني والوظيفي على العائد في الإنفاق على حرفته أو مهنته أو وظيفته، وكذلك على حاجاته المعيشية، وما يتبقى يدخل في وعاء الزكاة على النحو الذي سوف نوضحه تفصيلاً في الصفحات التالية.

التكييف الفقهي لزكاة كسب العمل:

يعتبر العنصر الرئيسي في النشاط الحرفي والمهني والوظيفي هو العمل العضلي والذهني، ويخضع كسب العمل المتحصل من ذلك للزكاة، ولقد اختلف الفقهاء من السلف والخلف حول نوع الزكاة التي يخضع لها كسب العمل وذلك على النحو التالي:

- يرى فريق من الفقهاء القياس على زكاة المال المستفاد، حيث يضم المال المكتسب من العمل إلى بقية الأموال النقدية ويزكى الجميع في نهاية الحول، إذا بلغ النصاب نسبة ٢,٥٪ هـ، ولا يشترط كمال دوران الحول عند كل وحدة نقدية، حيث إن المال ينمو كل يوم، والعبرة بوصوله النصاب في نهاية الحول ولا يسمح بخصم النفقات والديون.
- يرى فريق من الفقهاء القياس على زكاة الزروع والثمار، وتحسب الزكاة على أساس ٥٪ يوم الحصول عليه، ولا يشترط حولان الحول، ويقاس النصاب بما يعادل خمسة أوسق (ما يعادل ٦٢٥ كيلو جرام) من أغلب قوت الناس، وفي هذه الحالة لا تخصم أي نفقات أو ديون.
- يرى فريق من الفقهاء القياس على زكاة النقدين، وتحسب الزكاة على أساس ٢,٥٪ من الصافي بعد خصم نفقات الحصول على الإيراد ونفقات الحاجات الأصلية، متى وصل النصاب طرفي الحول ويضم إلى الصافي أي أموال نقدية لم تزك من قبل.

ونميل إلى الأخذ بالرأي الأخير وهو الذي أخذ به معظم الفقهاء المعاصرين، وقررته الهيئة الشرعية العالمية للزكاة وذلك للمبررات الآتية:

(١) يجب خصم نفقات الحصول على الكسب وكذلك نفقات الحاجات الأصلية والديون المدفوعة حيث من شروط الخضوع للزكاة أن يكون فائضًا عن الحاجات أو خاليًا من الدين.

(٢) يصعب عمليًا قياس الحولية لكل وحدة نقد، والعبرة بالنصاب طرفي الحول.

(٣) كلما كان المجهود في الكسب أكبر كلما قل سعر الزكاة وهذا يتوافر في زكاة كسب العمل حيث يكون سعرها ٢,٥٪.

أحكام وحساب زكاة المهن الحرفية

لقد استقر رأي الفقهاء المعاصرين على خضوع كسب المهن الحرفية لزكاة كسب العمل، ويحكم حسابها الأسس الآتية:

(١) لا تجب الزكاة في أدوات ووسائل مباشرة الحرفة، لأنها من عروض القنية (الأصول الثابتة) المعفاة من الزكاة.

(٢) تتمثل الأموال الزكوية في الإيرادات المكتسبة من مباشرة الحرفة خلال الحول.

(٣) يخصم من الإيرادات المكتسبة نفقات الحرفة ونفقات الحاجات الأصلية، والديون المسددة إن وجدت، وثمن الأشياء المشتراة ويمثل الباقي وعاء الزكاة.

(٤) يحسب النصاب، على أساس ما يعادل ٨٥ جرامًا من الذهب عيار ٢١، قياسًا على زكاة النقدين، والمال المستفاد.

(٥) يقارن وعاء الزكاة بالنصاب، فإذا بلغه، تحسب الزكاة على أساس ٢,٥٪.

(٦) تحسب الزكاة عن طريق ضرب الوعاء في سعر الزكاة.

أحكام وحساب زكاة المهن الحرة

يعتبر إيراد المهن الحرة من أنشطة كسب العمل حيث يعتمد المهني (كما سبق الإيضاح) على جهده الذهني في أداء مهنته، ودور الأجهزة والعدد والأدوات والوسائل التي يستخدمها قليل، وتطبق أحكام زكاة كسب العمل السابق بيانها على زكاة المهن الحرة، والتي تتلخص في الآتي:

(١) لا تجب الزكاة على الأجهزة والعدد والأدوات التي يستخدمها في عمله مثل: العقار، والأثاث، والتركيبات، والسيارات، وأجهزة الفاكس، والكمبيوتر الموجودة في مكتبه، أو معمله، لأنها من عروض القنية.

(٢) تجب الزكاة في قيمة الأتعاب التي يحصل عليها خلال الحول بعد طرح النفقات والديون.

(٣) يخصم من الأتعاب النفقات المرتبطة بمباشرة المهنة ومنها على سبيل المثال: أجور المعاونين والمساعدين، والإيجار، والمصاريف الإدارية المختلفة، وكذلك الضرائب والرسوم الحكومية والنقابية المسددة، وما في حكم ذلك.

(٤) يخصم كذلك من الإيراد نفقات الحاجات المعيشية (إذا لم تغطِّ من إيرادات أخرى) والديون المسددة خلال الحول، وثمن شراء أي أجهزة، أو نحو لك، أو الأقساط المسددة.

(٥) يمثل وعاء الزكاة: الإيرادات السنوية مخصومًا منها التكاليف والمصروفات ونفقات الحاجات المعيشية والديون المسددة وثمن الأشياء المشتراة، وهذا في الغالب يمثل الوعاء صافي المدخر.

(٦) يقدر النصاب بما يعادل ٨٥ جرامًا من الذهب، على أساس عيار ٢١، فإذا وصل الوعاء النصاب تحسب الزكاة.

(٧) سعر الزكاة ٢,٥٪ على أساس الأشهر القمرية و٢,٥٧٥٪ على أساس الأشهر الشمسية.

(٦) يحسب مقدار الزكاة عن طريق ضرب الوعاء في سعر الزكاة.

ويجوز أن يدفع المهني مبالغ تحت حساب الزكاة عندما يحصل على الإيراد، على أن يسوي ما دفعه خلال الحول مع الواجب عليه في نهايته، فإذا كان كل ما دفعه بالزيادة فتعتبر صدقة أو ترحل للحول المقبل، وإذا كان ما دفعه بالنقص يسدده.

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

من أخلاق أهل القرآن

طلب العلوم النافعة

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن أهل القرآن لهم السبق في العلوم النافعة، فهم لم يقتصروا على حفظ القرآن وعلم القراءات فقط مع جلالة قدرها، بل حصّلوا معها من العلم ما يقيمون به أمر دينهم، وكان منهم أعلام وأئمة في علوم العقيدة، الحديث، والفقه، والنحو، والذي ينبغي لحامل القرآن أن يتعلم من التفسير ما يَفهم به كلام ربه، ومن الحديث والسيرة ما ينفعه في اتباع السُّنة، ومن التوحيد ما يصحّح به عقيدته، ومن الفقه ما يصحّح به عبادته، ومن اللغة ما يحفظ به لسانه من اللحن، فيأخذ طرفًا من العلوم الشرعية النافعة.

وفيما يلي نطلع على شيء من سيرتهم وهديهم من كتاب: (معرفة القراء الكبار) للإمام الذهبي:

- ابن الأخرم محمد بن النضر أبو الحسن الدمشقي المقرئ (ت ٣٤١):

قال الشنبوذى: قرأت على أبي الحسن بن الأخرم، فما رأيت شيخًا أحسن معرفة منه بالقرآن ولا أحفظ، وكان مع ذلك يحفظ تفسيرًا كثيرًا ومعاني. (ص ٣٢٢).

- النقاش محمد بن الحسن أبو بكر الموصلي المقرئ المفسر (ت ٣٥١): طاف بالأمصار وكتب الحديث وقيد السنن، وصنف المصنفات في القراءات والتفسير مع ظهور نسكه وورعه واتساع معرفته (ص ٣٢٦).

- الجريري المعافى بن زكريا أبو الفرج النهروانى المقرئ المفسر الفقيه الأخبارى (ت ٣٩٠): قال الخطيب: كان من أعلم الناس في وقته بالفقه، والنحو، واللغة، وأصناف الأدب، قال: وبلغنا عن أبي محمد الباقي أنه كان يقول: إذا حضر القاضي أبو الفرج فقد حضرت العلوم كلها، ولو أوصى رجل بثلث ماله أن يدفع إلى أعلم الناس لوجب أن يدفع إلى المعافى (ص ٣٦٧).

- على بن محمد بن إسماعيل أبو الحسن التميمي الأنطاكي نزيل الأندلس ومقرؤها ومسندها (ت ٣٧٧): قال عنه أبو الوليد بن الفرضي: أدخل الأندلس علمًا جمًّا، وكان بصيرًا بالعربية والحساب، وله حظ من الفقه، قرأ الناس عليه وسمعت أنا منه، وكان رأسًا في القراءات لا يتقدمه أحد في معرفتها في زمانه (ص ٣٦٩).

الدارقطني، علي بن عمر الإمام الكبير أبو الحسن الحافظ المقرئ (ت ٣٨٥): قال عنه الذهبي: قرأ بالروايات على أبي الحسين بن بويان، وأبي بكر النقاش وغيرهما، وأخذ كتاب (السبعة) عن ابن مجاهد، وتصدر للإقراء في أواخر أيامه وصنف فيها كتابًا حافلاً، وهو أول من عمل الأبواب قبل فرش الحروف (أي كان في تصنيفه يبدأ بأصول القراءات أولاً، ثم يتبعها بالفرش، وهو الكلمات القرآنية التي اختلف فيها القراء)، قال عنه الخطيب: كان فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل والأسماء مع العدالة والثقة، وصحة الاعتقاد، والاضطلاع بعلوم منها القراءات، وهو أول من عقد الأبواب في القراءات، فصار الناس بعده يسلكون طريقته، ومنها المعرفة بالأدب والشعر، فكان يحفظ دواوين جماعة من الشعراء.

قال رجاء بن محمد المعدل: سألت الدارقطني: هل رأيت مثل نفسك؟ فقال لي: قال الله تعالى: «فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ» (النجم:٣٢)، قلت له: لم أرد هذا، فقال: إن كان في فنّ واحد فقد رأيت من هو أفضل مني، وأما من

اجتمع فيه ما اجتمع في فلا (٣٧٤-٣٧٦).

البَاطِرْقانى أحمد بن الفضل أبو بكر الأصبهاني، مقرئ أصبهان ومحدثها (ت ٤٦٠)؛ قال عنه الدقاق: لم أر شيخًا بأصبهان، جمع بين علم القرآن والقراءات والحديث والروايات وكثرة الكتابة والسماع أفضل من أبي بكر الباطرقاني (ص ٤٥٣).

عبد الصمد بن عبد الرحمن أبو محمد البلوي الأندلسي المقرئ (ت ٦١٩)؛ قال عنه الأبار: كان راوية مكثرا، وواعظًا مذكرًا، يتحقق بمعرفة القراءات والتفاسير، ويشارك في الحديث والعربية (ص ٦٥٠).

الزوالي إبراهيم بن علي بن أغلب أبو إسحق الأندلسي المقرئ (ت ٦١٦)؛ قال عنه ابن مسدي: كان في القراءات إمامًا، وفى علو إسنادها إمامًا، وله في الحديث الرواية والدراية وسمو الغاية، وأما الأدب فكان فيه بحرا يقذف دُرًّا (ص ٦٥٣).

الإمام السخاوي علي بن محمد شيخ القراء أبو الحسن الهمداني المقرئ المفسر النحوي (ت ٦١٤)؛ أخذ القراءات عن أبي القاسم الشاطبي، وله شرح على الشاطبية، قال عنه الإمام الذهبي: كان إمامًا كاملاً، ومقرئًا محققًا، ونحويًا علَّامة، مع بصره بمذهب الإمام الشافعي، ومعرفته بالأصول وإتقانه للغة، وإحكامه لضروب الأدب وفصاحته بالشعر وطول باعه في الإنشاء، مع الدين والتواضع والمروءة، واطراح التكلف وحسن الأخلاق، ووفور الحرمة، وظهور الجلالة وكثرة التصانيف (ص ٦٨٥-٦٨٦).

المجد ابن تيمية عبد السلام بن عبد الله الإمام مجد الدين أبو البركات الحراني المقرئ جدّ شيخ الإسلام ابن تيمية، رحم الله الجميع، (ت ٦٥٢)؛ قال عنه الإمام الذهبي: كان إمامًا كاملاً ومعدوم النظير في زمانه، رأسًا في الفقه وأصوله، بارعًا في الحديث ومعانيه، وله اليد الطولى في معرفة القراءات والتفسير، صنّف التصانيف وبعُد صيته، وبرع في الفقه، ودلائله، وله أرجوزة في القراءات ومصنّف في أصول الفقه، وكتاب كبير في الأحكام معروف، وشرح الهداية وغير ذلك، وكان فرد زمانه في معرفة المذهب، مفرط الذكاء، متين الديانة، كبير الشأن، وقال عنه جمال الدين بن مالك: أُلين للشيخ مجد الدين الفقه كما أُلين لداود الحديد (ص ٧٠٩).

جمال الدين محمد بن حسن أبو عبد الله المغربي الفاسي شيخ القراء بمدينة حلب (ت ٦٥٦)؛ أخذ القراءات عن اثنين من أصحاب الشاطبي وله شرح على الشاطبية، وأخذ القراءات بحلب عن يوسف بن شداد، وقرأ عليه أكثر صحيح مسلم حفظًا، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، قال عنه الذهبي: كان إمامًا ذكيًا متقنًا، واسع العلم كثير المحفوظ، بصيرًا بالقراءات وعللها ومشهورها وشاذها، خبيرًا باللفظ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بحلب، وكان مليح الكتابة، وافر الفضائل، موطأ الأكناف، متين الديانة، ثقة حجة (ص ٧٢٧).

أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الإمام العلامة الأندلسي المقرئ الشافعي المحدث النحوي المفسر عالم الديار المصرية في زمانه (ت ٧٤٥)؛ برع في القراءات والعربية، وتلا بالسبع، ولكنه لم يتفرغ، وقرأ التيسير والموطأ، قال عنه الذهبي: عُنيَ بجمع العلم مع براعته الكاملة في العربية، له يد طولى في الأثر والفقه والقراءات واللغة والرجال، وله مصنفات في القراءات والنحو، وله تفسير باهر في عشر مجلدات، قال: وهو مفخر أهل مصر في وقتنا في فنون العلوم تخرج به أئمة وعلماء، وقال: ولكن إمامته في العربية سترت علومه (ص ٨٠١).

الإمام الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني ثم الدمشقي الشافعي المقرئ (ت ٧٤٨)؛ برز في علم القراءات، ولازم كبار علماء القراءات في عصره حتى أتقنها، قال عنه السيوطي: (وتلا بالسبع وأذعن له الناس)، وله في علم الحديث النصيب الأوفر، مع إتقانه لعلم الرجال والتراجم وعنايته بعلوم العربية والأدب والتاريخ، بلغت مؤلفاته: ٢١٥ مؤلفًا.

ومن العلماء المعاصرين:

الشيخ العلامة عبد العزيز عيون السود (ت ١٣٩٩هـ)؛ عالم مقدم في العلوم الشرعية والعربية والقراءات، تولى مشيخة الإقراء بحمص وأمانة دار الإفتاء بها، له باع كبير في: الفقه الحنفي، وأصوله، والحديث وعلومه، وأخذ القراءات عن علماء الشام والحجاز ومصر. (هداية القاري للشيخ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي ٦٥٦-٦٥٨).

الشيخ العلامة عبد الفتاح القاضي (ت ١٤٠٣هـ)؛ عالم مصري مبرز في القراءات وعلومها وفي العلوم الشرعية والعربية أخذ القراءات العشر وحصل على شهادة التخصص القديم (الدكتوراه حاليًا) شعبة التفسير والحديث، وتلقى العلوم الشرعية على كبار العلماء في عصره، وله مصنفات نافعة تزيد عن العشرين في القراءات وغيرها من العلوم الشرعية (المرجع السابق: ٦٥٨-٦٦٣).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

إمتاع الأخيار بنبأ أصحاب الغار

بقلم

د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن في قصة أصحاب الغار وإنجاء الله لهم من ذلك الهلاك المحقق من أمتع قصص السنة التي يثبّت الله بها الموحدين؛ فلما انقطعت بهم الأسباب إلا سبب الإيمان فكان الإخلاص لله هو السبب الأوحد للنجاة.

الحديث:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بيْنَما ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ، فأوَوْا إلى غَارٍ في جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ علَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عليهم، فَقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً للَّه، فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إنَّه كانَ لي وَالِدَانِ شيخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عليهم، فَإِذَا أَرَحْتُ عليهم، حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُما قَبْلَ بَنِيَّ، وَأنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَومٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُما قدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كما كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بالحِلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِما أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُما من نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذلكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا منها فُرْجَةً، نَرَى منها السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ منها فُرْجَةً، فَرَأَوْا منها السَّمَاءَ. وَقالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إنَّه كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ ما يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حتَّى آتِيَهَا

بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حتَّى جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يا عَبْدَ الله اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الخَاتَمَ إلَّا بِحَقِّه، فَقُمْتُ عَنْهَا، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذَلكَ ابْتغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا منها فُرْجَةً، فَفَرَجَ لهمْ. وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أجِيرًا بِفَرَقِ أرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قالَ: أعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عليه فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْه، فَلَمْ أزَلْ أزْرَعُهُ حتَّى جَمَعْتُ منه بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلتُ: اذْهَبْ إلى تلكَ البَقَرِ وَرِعَائِهَا، فَخُذْهَا فَقالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلتُ: إنِّي لا أسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلكَ البَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فأخَذَهُ فَذَهَبَ بِه، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذَلكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا ما بَقِيَ، فَفَرَجَ اللَّهُ ما بَقِيَ. وَزَادُوا في حَدِيثِهِمْ: وَخَرَجُوا يَمْشُونَ".

التخريج:

الحديث مخرج في الصحيحين وعند أبي داوود من أصحاب السنن واللفظ السابق لمسلم رحمه الله وبيان التخريج كالتالي:

١- أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذنه فرضي برقم ٢١٢٩.

وفي كتاب الإجارات، باب من استأجر أجيرًا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل برقم ٢١٧٩.

وكتاب المزارعة باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم، وكان في ذلك صلاح لهم برقم ٢٢٣٦.

وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار برقم ٣٣٠٦.

وفي كتاب الأدب، باب إجابة دعاء من بر والديه برقم ٥٦٥٣.

٢- وأخرجه مسلم في كتاب الرقاق باب قِصَّة أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَة وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ حديث رقم ٥٠٥٥.

٣- وأبو داود في سننه في كتاب البيوع، بَابٌ في الرَّجُلِ يَتَّجِرُ في مَالِ الرَّجُلِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، برقم ٢٩٩١.

المعنى العام:

هذا الحديث يحكي لنا قصة لثلاثة نفر ممن كانوا قبلنا يقول: (بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر) في رواية انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، وكذا عند البخاري.

(فأووا إلى غار في جبل) أي التجئوا إلى غار (وهو نقب في الجبل) يحميهم من المطر، (فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل فانطبقت عليهم. وفي رواية للطبراني: إذ وقع حجر من الجبل مما يهبط من خشية الله حتى سد فم الغار...).

فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها؛ لعل الله يفرجها عنكم. وفي رواية للبخاري فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق...

- فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران (أي: أب وأم وذكر الوالد من باب التغليب) وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم (أي: عدت وهو من الرواح) حلبت فبدأت بوالداي فسقيتهما قبل بني، وإنه نأى (أي: بعد) بي ذات يوم الشجر

فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي (أي يصيحون بالبكاء) فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم (حالي وحالهم) حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها (أي: من الصخرة) فرجة نرى منها السماء؛ ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء..

- وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها؛ فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها، فلما قعدت بين رجليها (أي استعدادًا لفعل الفاحشة الحرام) قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه (أي: ذكرته وخوفته بالله ألا يجامعها إلا بزواج مشروع)؛ فقمت عنها (أي: تركتها خوفًا منك ولم أفعل الفاحشة)، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم) فرجة أخرى لكنها لا تمكنهم من الخروج)، (وفي رواية أخرى: فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين أي حتى وقعت في سنة قحط فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار)، قلت: والظاهر من الجمع بين الروايات الصحيحة أن المرأة كانت عفيفة فأبت في أول الأمر لكنها ضعفت حين ألمت بها ملمة، فاشترطت المبلغ المذكور في رواية الإمام مسلم فلم تكن موافقة في أول الأمر، والله أعلم).

- وقال الثالث: اللهم إني كنت قد استأجرت أجيرًا بفرَق أرز (والفرق هو مكيال يعادل ستة عشر رطلاً أي حوالي سبع كيلو جرامات تقريبًا)، فلما قضى عمله قال أعطني حقي فعرضت عليه فرقه فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرًا ورعاءها فجاءني فقال اتق الله ولا تظلمني حقي، قلت اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها، فقال اتق الله ولا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به (أي: أخذ الأجير كل الربح المنبثق من فرق الأرز بعد استثماره هذه السنين الطوال حتى انبثق منه كل هذا) قال: فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي؛ ففرج الله ما بقي. وخرجوا من الغار يمشون كما في بعض الروايات.

مما يُستفاد من الحديث:

١- سيق هذا الحديث في شرع من قبْلَنَا، وشرع من قبلنا إذا ثبت بطريق صحيح من كتاب الله أو سُنَّة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، ولم يرد في شرعنا ما يبطله أو ينسخه، فإنَّ ما عليه الأكثرون أنَّه بهذا الاعتبار حُجَّة يقتضي العمل به لوجوب العمل بجميع نصوص الكتاب والسُّنَّة الصحيحة (ينظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٩/ ٦-٧).

٢- الإخلاص حرّك الحجر، الإخلاص هو كل شيء، فلا تجعل نصيبًا من عبادتك لأحد، اجعلها كلها لله قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري

تركته وشركه) (رواه مسلم: ٥٣٠٠).

٣- فضل بر الوالدين بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من السنة؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: (الوالد أوسط أبواب الجنة فأضع ذلك الباب أو احفظه) (صحيح سنن ابن ماجة ١٦٣/٨)، وغيره الكثير فليراجع.

٤- فضل أداء الأمانة، ثم حسن العهد والسماحة في المعاملة؛ كما فعل صاحب العمل.

٥- الأصل أنه لا يجوز التصرف في مال الغير بغير إذنه، لكن إن تُصُرِّفَ فيه لمصلحة راجحة فإن هذا موقوف على إجازة مالكه، وما حصل من أرباح فأرباح أموالهم لهم.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥٧٨/٢٠): مع أن القول بوقف العقود مطلقًا هو الأصح في الحجة، وليس ذلك إضرارًا أصلاً، بل صلاح بلا فساد، فإن الرجل قد يرى أن يشتري لغيره أو يبيع له، أو يستأجر له أو يوجب له، ثم يشاوره، فإن رضي وإلا لم يصبه ما يضره.

٦- مشروعيَّة التَّوسُّل إلى الله بالعمل الصَّالح، خلافًا لمن يسلكون طرق التوسل البدعية غير المشروعة التي انتشرت هذا الزمان.

فضل عبادة الافتقار الى الله والتبرؤ من الحول والقوة إلا بالله؛ إذ الافتقار المطلق هو حقيقة العبودية ولبُها كما قاله ابن القيم في [مدارج السالكين، (٤٣٩/٢) فليراجع.

٧- الدعاء مع حسن الظن بالله من أقوى أسباب النجاة؛ كما قال جليسهم الصالح الذي أحسن بربه الظن: "لا ينجيكم اليوم إلا أن تدعوا الله..".

وهكذا تنجلي بإذن الله الأزمات كما تنجلي بالفجر الظلمات.

وكما قال القائل:

ولرب ضائقة يضيق بها الفتى
ذرعًا، وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فُرِجَتْ، وكنت أظنها لا تفرج

فسبحان الذي يسمع النداء ويكشف البلاء عن عباده المضطرين « أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ » (النمل: ٦٢).

٨- لا يغتر العبد بما يتشدق به الناس من الشعارات الجميلة التي تخفي وراءها تفكك عرى الدين، فكاد أن يقع المحذور من القريب المخالط لابنة عمه.

٩- من أجلّ العبادات العفة عن المحرمات، وكذلك تعظيم الحرمات، وهي من دلائل تقوى القلوب كما قال تعالى: (ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ)(الحج: ٣٢).

١٠- من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه، وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنك لن تدع شيئًا لله عز وجل إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه) قال الألباني: "وسنده صحيح على شرط مسلم" الضعيفة (٦٢/١) ((ينظر: شرح النووي على مسلم ٤٩/٤)، وينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم شرحه للحديث، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري بتصرف)).

وختامًا؛ فإن في نبأ أهل الغار إظهارًا لشأن التوحيد والخبيئة الصالحة؛ فلعمر الله! لَلصدق طوق نجاة في أمواج البلاء المتلاطمة. والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٨٥)

٧٨٧- «أبو بكرٍ منِّي، وأنا منهُ، وأبو بكرٍ أخي في الدنيا والآخرةِ».

الحديث لا يصَح: أخرجه أبو منصورٍ الديلمي في «مسند الفَردوس» (ح٢٤٣- الغرائب الملتقطة) من حديث عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة، عن عباسة المجاشعية، عن أم حبيبة الرقاشية، عن عائشة مرفوعًا، وعلته عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة، قال الحافظ ابن حجر في «الغرائب الملتقطة»: «عبد الرحمن كذبوه». اهـ. وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٦٧/٢/٢): «سألت أبي عنه فقال: كان يكذب؛ فضربت على حديثه». اهـ.

وقال الإمام الحافظ الدارقطني في «السنن» (٥٩٢/٣٨١/١): «متروك يضع الحديث». اهـ. فالحديث: «موضوع».

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٤): «والطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع». اهـ.

لذلك قال الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١): «الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شرّ الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أيِّ معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

٧٨٨- «صَلاَةُ النَّهار عَجْماءُ».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السيوطي في «الأحاديث المشتهرة» (ح٢٧٤)، وقال: «قال الدارقطني والنووي: باطل لا أصل له». اهـ.

٧٨٩- «اتَّقوا الدُّنيا، واتَّقوا النِّساءَ، فإنَّ إبليس طَلاعٌ رصَادٌ، وما هوَ بشيءٍ من فُخوخِهِ بأوثَقَ لصيدِهِ في الأتقياءِ منَ النِّساءِ».

الحديث لا يصح: أخرَج أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٣٥) من حديث سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل مرفوعًا وعلته سعيد بن سنان، وهو الذي روى عن أبي الزَّاهرية حُدير بن كريب، وروى عنه محمد بن شعيب كما في هذا المسند بيَّنه الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢٢٧٧/٢٢٨/٧)، وهو الحمصي.

قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٢٧٧/٢٢٨/٧)، وهو الحمصي، قال الإمام البخاري في

«الضعفاء الصغير» (١٣٥): «سعيد بن سنان الحمصي عن أبي الزاهرية منكر الحديث». اهـ. وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٦٨): «متروك». اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/٢٩٨): «متروك ورماه الدارقطني وغيره بالوضع». اهـ.

٧٩٠- «مَنْ حَضَرَ لأَخيه قَلِيبًا، أَوْقَعهُ الله فيه قَرِيبًا».

الحديث لا يصح: أورده القاري في «الموضوعات» (ح٣٣١) وقال: «قال العسقلاني: لم أجد له أصلاً».

٧٩١- «الجِنُّ لا تَخْبلُ أَحَدًا في بَيْته عَتيقٌ منَ الخَيْل».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (ح١٣٠٥) من حديث سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده عريب مرفوعًا، وعلته سعيد بن سنان أبو مهدي الحمصي روى عن يزيد بن عبد الله بن عَريب المليكي، وهو يروي عن أبيه عن جده. كذا في «تهذيب الكمال» (٢٢٧/٢٢٨/٧) للحافظ المزي، وسعيد بن سنان منكر الحديث متروك رماه الدارقطني وغيره بالوضع كما بينا آنفًا؛ فالحديث موضوع، وقد بينا آنفًا حد الموضوع ورتبته، وحكمه.

٧٩٢- «من لم يستغن بآيات الله فلا أغناهُ الله».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٢٢/٤) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: لم أجده. اهـ.

وأورده الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص٢٩٧) وقال: «قال في المختصر: لم يوجد». اهـ.

٧٩٣- «استشفوا بما حمد اللهُ تعالى به نفسَه قبلَ أن يحمدَه خلقُه، وبما مدح اللهُ تعالى به نفسَه، (الحمدُ لله)، و(قُلْ هو اللهُ أحدٌ)، فمن لم يشْفِه القرآنُ فلا شفاه الله».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٥٣- الغرائب الملتقطة) من حديث أحمد بن الحارث الغساني عن ساكنة بنت الجعد عن أبيها مرفوعًا، وعلته أحمد بن الحارث الغساني. قاله الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١/٢/٢): «أحمد بن الحارث الغساني ويعرف بالغنوي أبو عبد الله بصري سمع ساكنة بنت الجعد فيه نظر». اهـ. وأخرجه الإمام الحافظ ابن عدي بسنده إلى الإمام البخاري وأقره في كتابه «الكامل» (١/١٧٣)، ونقله الحافظ الذهبي في «الميزان» (١/٨٨/٣٢٥)، وقال: «قال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال البخاري: فيه نظر». اهـ.

قلتُ: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه، فقد بَيَّنه الحافظ الذهبي في «الموقظة» (ص٤٩) فقال: «وعادة البخاري إذا قال: (فيه نظر) معناه أنه متَّهم أو ليس بثقة». اهـ.

٧٩٤- «مَن قرأ القرآنَ فلهُ مائتا دينار فإن لم يُعطَها في الدُّنيا أعطيَها في الآخرة».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١١٢/٥) من حديث عمرو بن جميع، عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة، عن علي مرفوعًا، فيه علتان: جويبر، وعمرو بن جميع، وأورد هذا الحديث الإمام الشوكاني في «الفوائد» (ص٣٠٨) وقال: «رواه ابن عدي عن علي مرفوعًا وفي إسناده جويبر، وعمرو بن جميع كذابان». ثم قال: «هذا حديث موضوع لا يشك فيه وضعه المبتدئ في هذا الفن». اهـ.

الحلقة السادسة والعشرون

فقه المرأة في الجنائز

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد ذكرنا في الحلقة الماضية الإحداد على الميت، وحكم تغسيل المرأة لزوجها، وتغسيل الزوج لزوجته، وكذا تغسيل المرأة للصبي، ونستكمل أحكام الجنائز؛ سائلين الله تعالى أن يتقبل جهد المقل وينفع به المسلمين.

أولاً: في كم ثوب تكفن المرأة؟

لم نقف على حديث مرفوع بسند يصح في كيفية تكفين المرأة، وعلى أن ذلك يكون في خمسة أثواب، اللهم إلا حديثًا ذكره الحافظ في الفتح (١٣٣/٣) وعزاه إلى الجوزقي من طريق إبراهيم بن حبيب ابن الشهيد، عن هشام عن حفصة عن أم عطية، قالت: (فكفناها في خمسة أثواب، وخمرناها كما يُخمر الحي)، قال الحافظ: هذه الزيادة صحيحة الإسناد، وهذه الزيادة بمقتضاها قال أكثر أهل العلم.

عن أم عطية، قالت: توفيت بنت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لنا «اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن، فإذا فرغتن فآذنني»، فلما فرغنا آذناه فنزع من حقوه إزاره وقال: «أشعرنها إياه» (أخرجه: البخاري ١٢٥٧، ومسلم ٩٣٩).

أشعرنها إياه: اجعلنه شعارًا لها، وهو الثوب الذي يلي الجسد، سمي شعارًا لأنه يلي الجسد. (مسلم بشرح النووي ٨/٤).

وفي هذا الحديث جواز تكفين المرأة في ثوب الرجل.

بعض الآثار التي جاءت في كفن المرأة:

١- عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: في كم تكفن المرأة؟ قال: «في ثلاثة أثواب؛ درع وثوب فوقها تلف فيه قلت: ولا خمار؟ قال لا، ولكنها تجمع بالعصائب، إن لها هيئة كهيئة الرجل». أخرجه: عبد الرزاق في المصنف (٦٢٣٩).

الدرع: هو القميص، أو ما يسمى العباية التي تلبسها المرأة.

٢- عن منصور عن إبراهيم قال: «تكفن المرأة في خمسة أثواب: درع، وخمار، ولفاف، ومنطق، ورداء». أخرجه: ابن أبي شيبة في المصنف (١١٠٩١) وعبد الرزاق في المصنف (٦٢٤٢).

٣- عن هشام عن ابن سيرين قال: «تكفن المرأة في خمسة أثواب: درع، وخمار، وخرقة، ولفافتين». أخرجه: عبد الرزاق في المصنف (٦٢٣٤).

قلنا لعبد الرزاق، وكيف يصنع بالخرقة؟ قال: تُجعل كهيئة الإزار من فوق الدرع.

٤- عن إسرائيل عن عيسى بن أبي عزة، قال: «شهدت عامرًا الشعبي كفن ابنته في خمسة أثواب، وقال: الرجل في ثلاث»- أخرجه: ابن

أبي شيبة في المصنف (١١٠٨٦) وعبد الرزاق في المصنف (٦٢٤٤).

ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى أن المرأة تكفن في خمسة أثواب، وحجتهم الحديث الذي صححه الحافظ في الفتح والذي ذكرناه في أول الباب، وأيضًا الآثار التي جاءت بذلك.

وهذا مذهب الشافعية، والمالكية، والحنفية، والحنابلة، وأهل الظاهر ولا نعلم لهم مخالفًا من السلف.

أقوال أهل العلم في كفن المرأة:

قال الخرقي في مختصره مع المغني (٢/٢٩٧، ٢٩٨):

والمرأة تكفن في خمسة أثواب: قميص، ومئزر، ولفافة، ومقنعة، وخامسة تشد بها فخذها.

قال ابن المنذر: «أكثر من نحفظ عنه من أهل العلم يرى أن تكفن المرأة في خمسة أثواب، وإنما استحب ذلك لأن المرأة تزيد في حال حياتها على الرجل في الستر لزيادة عورتها على عورته، فكذلك بعد الموت، ولما كانت تلبس المخيط في إحرامها وهو أكمل أحوال الحياة استحب إلباسها إياه بعد موتها، والرجل بخلاف ذلك، فافترقا في اللبس بعد الموت، لافتراقهما فيه في الحياة، واستويا في الغسل بعد الموت لاستوائهما فيه في الحياة.

قال الشافعي في الأم (١/٤٤٥): «والمرأة يُصنع بها في الغسل والحنوط ما وصفت، وتخالف الرجل في الكفن إذا كان موجودًا، فتلبس الدرع، وتؤزر، وتعمم، وتلف، ويشد ثوب على صدرها بجميع ثيابها، قال: وأحب إلي أن يجعل الإزار دون الدرع لأمر النبي صلى الله عليه وسلم في ابنته بذلك».

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٣/١٩): «ولا ينبغي أن يزاد الرجل على ثلاثة أثواب، كذلك ينبغي لمن يجد أن لا تنقص المرأة عن خمسة أثواب: درع، وخمار، وثلاث لفائف، يخمر رأسها بالخمار، وأما الدرع فيفتح في وسطه، ثم تلبسه، ولا يخاط من جوانبه وأحد اللفائف يلف على حجزتها وفخذيها حتى يستوي ذلك منها بسائر جسدها، ثم تدرج في اللفافتين كما يندرج الرجل».

جاء في فتح القدير (٢/١١٨): «وتكفن المرأة في خمسة أثواب: قميص، وإزار، وخمار، ولفافة، وخرقة تربط فوق ثدييها؛ لحديث أم عطية: «أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى اللواتي غسلن ابنته خمسة أثواب» ولأنها تخرج فيها حال الحياة فكذا بعد الممات».

وجاء في المحلى (٣/٣٣٩): «وأفضل الكفن للمسلم: ثلاثة أثواب بيض للرجل يلف فيها لا يكون في قميص، ولا عمامة، ولا سراويل، ولا قطن، والمرأة كذلك وثوبان زائدان».

ثانيًا: أين يقوم الإمام من جنازة المرأة؟

١- عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «صليت وراء النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة ماتت في نفاسها فقام عليها وسطها». أخرجه البخاري (١٣٣٢)، ومسلم (٩٦٤).

٢- عن أبي غالب قال: «صليت مع أنس بن مالك على جنازة رجل فقام حيال رأسه، ثم جاءوا بجنازة امرأة من قريش فقالوا: يا أبا حمزة صل عليها، فقام حيال وسط السرير، فقال له العلاء بن زياد: هكذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام على الجنازة مقامك منها ومن الرجل مقامك منه، قال: نعم، فلما فرغ قال: احفظوا». صحيح سنن الترمذي (١٠٣٤)، وصحيح أبي داود (٣١٩٤) وأخرجه الطحاوي في المعاني (٢٧٤٣)، وصحيح ابن ماجه (١٤٩٤).

ذهب أكثر أهل العلم إلى أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يقف الإمام عند وسط المرأة ورأس الرجل، واستدلوا بأحاديث الباب، وهو قول الشافعية وبعض الحنفية وأهل الظاهر- المجموع (٥/١٨٣)، مجمع الأنهر (١/١٨٣)، المحلى (٣/٣٤٥).

وخالفهم في ذلك آخرون، قال أبو حنيفة: يقف الإمام عند صدر الرجل وكذلك المرأة فهما سواء، وقال مالك: يقوم عند وسط الرجل وصدر المرأة، ورواية عن أحمد يقوم عند صدر الرجل ووسط المرأة وهو قول للشافعي- البناية شرح الهداية (٣/٢٢٤)، مواهب الجليل (٢/٢٢٧)، المغني (٢/٣٢٦).

أقوال أهل العلم:

جاء في شرح معاني الآثار (٢/١٩): بعد أن ذكر

حديث أنس وحديث سمرة كما تقدم قال: « فبين أنس رضي الله عنه في هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الرجل عند رأسه ومن المرأة من وسطها، على ما في حديث سمرة، فوافق حديث سمرة في حكم القيام من المرأة في الصلاة عليها كيف هو، وزاد عليه حكم الرجل في القيام منه للصلاة عليه، فهو أولى من حديث سمرة».

جاء في المجموع (١٨٣/٥): «السنة أن يقف الإمام عند عجيزة المرأة بلا خلاف للحديث، ولأنه أبلغ في صيانتها من الباقين، وفي الرجل وجهان، الصحيح باتفاق المصنفين وقطع به كثيرون وهو قول أصحابنا المتقدمين أنه يقف عند رأسه» اهـ.

تعقيب وترجيح:

أرى والله أعلم أن الصواب مع من ذهب إلى أن الإمام يقف عند رأس الرجل ووسط المرأة للأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب.

ثالثًا: إذا اجتمعت جنائز الرجال والنساء، كيف تُوضَع ليصلى عليها؟

١- عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما صلى على تسع جنائز جميعًا فجعل الرجال يلون الإمام والنساء يلين القبلة، فصفهن صفًا وحدًا ووضعت جنازة أم كلثوم بنت علي امرأة عمر بن الخطاب وابن لها يقال له زيد، وضعا جميعًا والإمام يومئذ سعيد بن العاص، وفي الناس ابن عمر، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وأبو قتادة، فوضع الغلام مما يلي الإمام، فقال رجل: فأنكرت ذلك فنظرت إلى ابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي قتادة، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هي السنة. أخرجه الدارقطني (١٨٣٤)، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٣٦٤)، وصحيح النسائي (١٩٧٨).

٢- عن أبي حصين عن موسى بن طلحة عن عثمان بن عفان: «أنه جعل الرجل يلي الإمام، والمرأة أمام ذلك» أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٣٦٠).

٣- عن الأعمش عن إبراهيم أنه قال: إذا اجتمعت جنائز الرجال والنساء، كان الرجال يلون الإمام، والنساء أمام ذلك. أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٣٦١).

إذا اجتمعت جنائز الرجال والنساء صلى عليهم الإمام صلاة واحدة، وجعل جنائز الرجال مما يلي الإمام، وجنائز النساء مما يلي القبلة، وهذا ما ذهب إليه جمهور أهل العلم واحتجوا بأحاديث الباب.

أقوال أهل العلم:

قال مالك في المدونة (٢٥٧/١): «إذا اجتمعت جنائز الرجال والنساء، جعل الرجال مما يلي الإمام والنساء مما يلي القبلة».

قال ابن المنذر: «وممن قال يقدم الرجال مما يلي الإمام والنساء وراءهم: عثمان بن عفان، وعلي، وابن عمر، وابن عباس، والحسن، والحسين، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو قتادة، وسعيد بن المسيب، والشعبي، وعطاء، والنخعي، والزهري، ويحيى، الأنصاري، ومالك، والثوري، وأصحاب الرأي، وأحمد، وإسحاق، قال النووي: وبه أقول».

رابعًا: صلاة النساء على الجنازة:

عن عبد لله بن الزبير رضي الله عنه: «أن عائشة أمرت أن يمر بجنازة سعد بن أبي قاص في المسجد فتصلى عليه» أخرجه مسلم (٩٧٣).

وفي رواية عن عائشة «أنها لما توفى سعد بن أبي وقاص أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يمروا بجنازته في المسجد، فتصلي عليه، ففعلوا» أخرجه مسلم (١٠٠، ٩٧٣).

وللنساء أن يصلين على الجنازة كالرجال، ودليل ذلك أحاديث الباب، وهذا مذهب الجمهور، وأشار إليه الإمام النووي.

قال في شرح المهذب (١٧٠/٥): «إذا حضر النساء مع الرجال فلا خلاف أنه لا يتوجه الفرض إليهن ولا يدخلن فيه، صرح به الشيخ أبو حامد والأصحاب، ولو لم يحضر إلا رجل ونسوة، وقلنا: لا يسقط الفرض بواحد وجب عليهن التتميم».

جاء في الإنصاف (٥١٣/٢): «الصحيح من المذهب: أنه يسن لهن الصلاة عليه جماعة إذا لم يصل عليه رجال نص عليه كالمكتوبة، وقيل: لا يسن لهن جماعة بل الأفضل فرادى».

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

العلم بالله أسمى العلوم وأنفعها

الحمد لله المتَّصِف بصفات الكمال، المتفرِّد بنعوت الجَلال والجَمال، أحمده-سبحانه- حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له في ألوهيته، ولا ندَّ له في ربوبيته، ولا نظيرَ له في أسمائه وصفاته، وأشهد أن سيِّدَنا ونبينا محمدًا عبدُه ورسولُه، أعلمُ الناسِ بربه، وأعرَفُهم بحقِّه، صلى الله وسلَّم عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله-عبادَ الله- حقَّ تقوى، واعبدوه عبادةَ مَنْ كأنه يراه، فيُحسِن العمل، ولا يغيب عنه ذكرُ يوم معاده وعقباه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(الحشر: ١٨).

أيها المسلمون: إنَّ ممَّا يطلبه المؤمنُ ويسعى في تحصيله العلمَ النافعَ؛ فقد كان نبيُّنا- صلى الله عليه وسلم- يسأل ربَّه بقوله: "اللهم إني أسألك علمًا نافعًا"، وبقوله: "اللهم انفعني بما علَّمتني، وعلِّمْني ما ينفعني، وزِدْني علْمًا"، وفي الحديثين من التوجيهات أنه لا يُطلب من العلم إلا النافعُ، وفيهما أيضًا تعليم للأمة أن يسألوا الله أن يعلمهم ما ينفعهم، بل قد جاء الحثُّ مصرَّحًا به في قوله صلى الله عليه وسلم: "سَلُوا الله علْمًا نَافعًا"، ولا يكتفي العبدُ بسؤال العلمَ النافع، بل يطلب الزيادةَ منه، كما قال عز وجل: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (طه: ١١٤)؛ أي: ربِّ زدني علمًا إلى ما علمتني، فأمَر نبيَّه بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم، ولم يأمره سبحانه بطلب الزيادة في

إعداد: الشيخ د: فيصل بن جميل غزاوي

خطيب المسجد الحرام

شيء إلَّا في العلم، وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على فضيلة العلم، وأنَّه أفضلُ الأعمال، فلم يزل صلى الله عليه وسلم في الزيادة والترقي في العلم حتى توفَّاه الله تعالى.

أفضلُ العلوم على الإطلاق العلمُ بالله

معاشرَ المسلمين: أفضلُ العلوم على الإطلاق العلمُ بالله، قال ابن رجب-رحمه الله-: "أفضلُ العلم العلمُ بالله، وهو العلمُ بأسمائه، وصفاته، وأفعاله التي توجِبُ لصاحبها معرفةَ الله وخشيتَه ومحبتَه وهَيْبَتَه، وإجلالَه وعظمتَه، والتبتُّل إليه والتوكل عليه، والرضا عنه، والانشغال به دون خَلْقه"، وقال ابن تيمية-رحمه الله-: "والعلمُ بالله يُراد به في الأصل نوعان، أحدهما: العلمُ به نفسه؛ أي: بما هو متَّصفٌ به من نعوتِ الجلالِ والإكرام، وما دَلَّت عليه أسماؤه الحسنى، وهذا العلم إذا رَسَخ في القلب أوجَب خشيةَ الله لا محالةَ، فإنه

لا بدَّ أن يعلم أن الله يُثيبُ على طاعته، ويُعَاقِبُ على معصيته، والنوعُ الثاني: يراد بالعلم بالله العلمُ بالأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي والحلال والحرام"، وقال ابن القيِّم-رحمه الله-: "فالعلمُ بالله أصل كل علم، وهو أصلُ علم العبد بسعادته، وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها، وما تزكو به وتفلح، فالعلمُ به سعادة العبد، والجهل به أصلُ شقاوته، ولا سعادةَ للعباد ولا صلاحَ لهم، ولا نعيمَ إلَّا بأن يعرفوا ربَّهم، ويكون وحدَه غاية مطلوبهم، والتعرُّف إليه قرَّةَ عيونهم، ومتى فَقَدُوا ذلك كانوا أسوأَ حالاً من الأنعام، وكانت الأنعامُ أطيبَ عيشًا منهم في العاجل، وأسلَمَ عاقبةً في الآجل".

أيها المسلمون: وبحسب معرفة العبد بربه يكون إيمانُه، فكلَّما ازداد معرفةً بربه ازداد إيمانُه، وكلَّما نقص نقص، قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا"، فيُستفاد منه أنه كلَّما كان الرجل أقوى في معرفة ربه كان أقوى في دينه، وكونه-عليه الصلاة والسلام- أعلَمَنا بالله يتضمَّن أن علمَه بالله أفضلُ من علم غيره به، وإنَّما زاد علمُه بالله لزيادة معرفته بتفاصيل أسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه، وعظمته وكبريائه، وما يستحقُّه من الجلال والإكرام والإعظام، ولكون عَلْمه بالله مستندًا إلى عين اليقين، فلمَّا زادت معرفةُ الرسول بربِّه زادت خشيتُه له وتقواه، فإنَّ العلمَ التامَّ يستلزم الخشيةَ، كما قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)(فاطر: ٢٨)، قال أحمد الأنطاكي-رحمه الله-: "مَنْ كان بالله أعرفَ كان من الله أخْوَفَ"، فمَن بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه أعلمُ كان له أخشى وأتقى، وإنما تنقُص الخشيةُ والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله.

العلم بالله وعبادته قضيتان متلازمتان

أيها المسلمون: العلمُ بالله وعبادته قضيتان متلازمتان، لا تنفكُّ إحداهما عن الأخرى، وأمران مطلوبان لأنفسهما، مقصودانِ لذاتهما، لا يقوم أحدُهما مقامَ الآخَر، دلَّ على ذلك قولُه-تعالى-: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ)(مُحمَّد: ١٩)، فاعلم: أمرٌ بالعلم، واسْتَغْفِرْ أمرٌ بالعمل.

والعلم بأمر الله أي العلم بحدود الله وأحكام شريعته من الحلال والحرام، إنما يُطلب في الحقيقة بباعث العلم بالله-تعالى-، فيُريد العبدُ أن يُرضيَه ويطيعه ويتَّبع أمرَه، فيُقبل على هذا العلم ليتبع أمرَ الله ويجتنب مساخطه، وبهذا يكون العلم بأمر الله دالًّا على العلم بالله، وأمَّا إن طلَب هذا العلمَ لغير وجه الله فلا شكَّ أنَّه يعودُ وبالاً على صاحبه، كما قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ تعلَّم علمًا مما يُبتغى به وجهُ الله-عزوجل- لا يتعلَّمه إلا ليُصيبَ به عَرَضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يومَ القيامة" يعني ريحها، (رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد).

قال الأوزاعي-رحمه الله-: "سأل رجلٌ ابنَ مسعود-رضي الله عنه-: "أيُّ الأعمال أفضلُ؟ قال: العلم، فكرَّر عليه ثلاثًا كل ذلك يقول: العلم، ثم قال: ويحكَ، إنَّ مع العلم بالله ينفعك قليلُ العمل وكثيرُه، ومع الجهل بالله لا ينفعُكَ قليلُ العمل ولا كثيرُه".

أعظم علم ينفع الإنسانَ في عاجله وآجله

عبادَ الله: وكما أن أعظم علم ينفع الإنسانَ في عاجله وآجله هو العلم بالله-تعالى- وبما يُرضيه فأعظمُ الجهل وأشدُّه وأشنعُه الجهلُ بالله-تعالى- وبدينه الذي ارتضاه لعباده، وَمَنْ عَطَّلَ عقلَه عن تحصيل ما ينفعه من العلوم الشرعية التي بها يُقيم دينَه ويعبد ربَّه فهو من الجاهلين، ولو كان مبرِّزًا في علوم الدنيا؛ إذ إنَّ أضرَّ شيء على العباد أن يجهلوا ما ينفعهم وما يضرهم، وما يقرِّبهم من الله-

تعالى-، وهو الإيمان به وطاعته واتِّباع رسله، ولذلك امتَدَح الله-تعالى- العلمَ والعلماءَ، وذمَّ الجهلَ وأهلَه، وأخبر أن أهلَ العلم وأهلَ الجهل لا يستويان أبدًا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(الزُّمَر: ٩).

كيفية التصدي لموجة الإلحاد التي اجتاحت بلاد العالم

أيها المسلمون: إن موجة الإلحاد قد اجتاحت بلادَ العالَم، فاكتسبت أنصارًا وشهدت تمدُّدًا حتى زحفت نحو بلاد المسلمين، وخاصة الشباب، فعصَفَت بقلوب مَنْ جهلوا ربهم، ولم تتأسَّس معرفتُه في نفوسهم، وتسلَّلت إلى عقولهم وفكرهم فجعلتهم حيارى متذبذبينَ، بل قد أفضى ذلك ببعضهم إلى إنكار الربِّ وهَجْر العبادات، وانقطاع الانتماء لمجتمعهم المسلم، حاملينَ ثقافةً دخيلةً مستورَدةً، قائمة على الشكِّ، وناقمة على الثقافة الإسلامية، وهذه الموجة الإلحادية تستدعي-من باب النصح للأمة ونصرة الحق- قيامَ أهل العلم بواجبهم في التصدي لها، دَحْرًا لجهود حاملي لوائها، وكشفًا لحقائقهم، فدعاةُ الإلحاد يحرصون على نشر باطلهم لدى الفتْيان والفتيات خاصة، فيُخاف على افتتانَ الشباب بهم، أكثرَ مما يُخاف من غيرهم من دعاة الباطل، فإنهم لا يألون جهدًا في بثِّ الإلحاد بأساليب شتى، وصور مختلفة، فكان ضررهم أكثر، وتأثيرهم أكبر.

ومما يجدر ذكْرُه أن فكر الإلحاد يعني في مضمونه ميلَ الإنسان عن فطرة الألوهية والتدين، وعن المنهج الحق الذي أمرَه خالقُه باتباعه، والمسلم بحاجة إلى أن تستقرَّ معاني توحيد الربوبية في نفسه؛ لأنه هو معرفة الله-تعالى-، وهو أصل الدين، فقضايا توحيد الربوبية تخفى على كثير من عوامِّ المسلمين.

أيها الإخوة في الله: يجب في مثل هذا الزمن الذي تُعرض فيه موجاتُ الإلحاد لبعض مَنْ لم يتعلم العقيدةَ الصحيحةَ ولم يتشبَّع منها، وضَعُفَ تعظيمُ الله في نفسه يجب أن نحمي مجتمعَنا وشبابَنا من هذا الخطر العظيم الداهم، وهو الكفر بالله- جل وعلا-، وذلك بتأصيل هذه المسألة العقدية العظيمة، وتفصيلها بعرض دلائل توحيد الله في ربوبيته، وإثبات وجوده، وتبسيطها للناس، والتعريف بها والتأكيد عليها، بما يكون حصْنًا حصينًا للقلوب عن وقوع الشك والرَّيْب فيها، فلا تنطلي عليها شبهاتُ وأوهامُ أهل الضلال، ودَوْرُ المصلحينَ في هذه الأمة إذا جاءت الآياتُ التي فيها ذكْرُ الله وذكْرُ عظمته، أن يرقِّقوا القلوبَ بها، وإنَّ عدمَ العنايةِ اللازمة بقضية الربوبية يؤدِّي إلى تنامي ظاهرةَ الإلحاد، وإنكار وجود الربِّ تقدَّس وتعالى.

أهمية معرفة الله عز وجل:

عبادَ الله، مَنْ عَرَفَ ربَّه فأيَّ شيء جَهلَ، ومن لم يَعرف ربَّه فأي شيء عرف؟ قال ابن القيم-رحمه الله-: "أي شيء عَرَفَ مَنْ لم يعرف اللهَ ورُسُلَه، وأي حقيقة أدرَكَ مَنْ فاتَتْه هذه الحقيقةُ؟ وأي علم أو عمل حصَل لمن فاته العلمُ بالله والعملُ بمرضاته؟ ومعرفة الطريق الموصلة إليه؟ وما له بعد الوصول إليه؟

إن القلوب إذا لم يحركها حادي معرفة الله-عز وجل- وتعظيمه، فإن العطبَ سيتمكَّن منها، والران سيكسوها، فأيُّ شيء يريده قلبٌ لم يتعرف على الله عز وجل؟

إن الحياة المادية إذا استغرق فيها العبدُ، وابتعد عن تذكير قلبه بمعرفة الله فإنه- ولا شكَّ- سيستجلب الهمومَ والغمومَ ويبتعد عن التوفيق، بل وعن لذة الحياة، فأي لذة في حياة مَنْ لم يتعرف على الله، أو غفل عن سُبُل معرفته؟

أحكام الصلاة

الحلقة السادسة

صلاة التطوُّع

عِظم فضل صلاة الضحى (١)

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ما يزال الحديث موصولاً عن صلاة التطوع، وقد تكلمنا في الحلقة السابقة عن قضاء السنن والنوافل، ونبدأ في هذه الحلقة الحديث السنن التي لا ترتبط بالصلوات الخمس، ونبدأ بالحديث عن صلاة الضحى:

والبحث في صلاة الضحى يشتمل على مسائل منها: المسألة الأولى: فضلها.

المسألة الثانية: حكمها.

المسألة الثالث: وقتها.

المسألة الرابعة: عدد ركعاتها وصفتها.

أولاً: فضلها:

وقد آثرت إيراد أكثر الأحاديث التي وردت في فضلها؛ لبيان عظم منزلة هذه النافلة التي صارت مهجورة عند الكثير من الناس الآن، واقتصرت على ذكر الأحاديث التي صحت أو بلغت درجة الحسن لعدم الإطالة.

وردت أحاديث في فضل صلاة الضحى، أذكر منها:

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، كل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتين يركعهما من الضحى" رواه مسلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: "على كل سلامى من أحدكم صدقة" هو بضم السين وتخفيف اللام وأصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله، قال العلماء: المراد صدقة ندب وترغيب لا إيجاب والزام (شرح النووي على صحيح مسلم بتصرف).

ومن فضل هذه الصلاة أن ركعتين منها تُجزئان وتعدلان ثلاثمائة وستين صدقة، فأكْرِم به من فضل. فعن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "في الإنسان ستون وثلثمائة مفصل؛ فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة. قالوا: فمن يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: النخاعة في المسجد تدفنها، والشيء تنحيه عن الطريق

فإن لم تقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك" (رواه أحمد واللفظ له وأبو داود).

فهذه المفاصل الثلاثمائة والستون في الإنسان إذا أصبحت سليمة وأنت معافى بنعمة الله عز وجل ثبت أداء شكرها، فمن شكر هذه النعمة التي أنعم الله بها عليك من سلامة أعضائك أن تفعل الخير، فتكثر من التسبيح والتحميد حتى تبلغ عدد هذه الأعضاء، فتسبح وتحمد وتكبر وتهلل، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعين الرجل على دابته فتحمل له متاعه عليها أو تحمله عليها، حتى تبلغ من الصدقات والنوافل قدر هذه النعمة التي أنعم الله عليك بها، وهي الثلاثمائة والستون مفصلاً، فكأنها صدقة الأعضاء، فقال عليه الصلاة والسلام: (ويجزئ عن ذلك ركعتا الضحى)، وفي هذا دليل على فضيلة هاتين الركعتين اللتين بلغتا شكر نعمة الله عز وجل على سلامة البدن كاملاً، وهذا يدل على فضل الصلاة. (شرح زاد المستقنع للشنقيطي).

والحديثان يدلان على عظم فضل الضحى وأكبر موقعها وتأكد مشروعيتها وأن ركعتيها تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة. ويدلان أيضًا على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودفن النخامة، وتنحية ما يؤذي المارّ عن الطريق وسائر أنواع الطاعات ليسقط بفعل ذلك ما على الإنسان من الصدقات اللازمة في كل يوم. (انظر: نيل الأوطار الشوكاني).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد" (رواه البخاري ومسلم).

ورواه ابن خزيمة ولفظه قال: "أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لست بتاركهن: أن لا أنام إلا على وتر، وأن لا أدع ركعتي الضحى، فإنها صلاة الأوابين، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر". قال المهلب: في حديث أبي هريرة الترغيب في صلاة الضحى والحض عليها؛ لأنه لا يوصيه النبي صلى الله عليه وسلم، بالمحافظة على عمل إلا وله في عمله جزيل الأجر وعظيم الثواب. (شرح صحيح البخاري لابن بطال).

وقول أبي هريرة هذا لا يعارضه ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر"؛ لأن الممتنع أن يتخذ هو صلى الله عليه وسلم غيره خليلاً لا العكس، ولا يقال: إن الخُلَة لا تتم حتى تكون من الجانبين؛ لأنا نقول إنما نظر الصحابي إلى أحد الجانبين، فأطلق ذلك أو لعله أراد مجرد الصحبة أو المحبة" (فتح الباري لابن حجر).

وروى مسلم، وأبو داود، والنسائي عن أبي الدرداء رضي الله عنه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فغنموا وأسرعوا الرجعة فتحدث الناس بقرب مغزاهم وكثرة غنيمتهم وسرعة رجعتهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أدلكم على أقرب منهم مغزى وأكثر غنيمة، وأوشك رجعة؛ من توضأ ثم غدا إلى المسجد لسبحة الضحى فهو أقرب منهم مغزى وأكثر غنيمة وأوشك رجعة" (رواه أحمد، والطبراني، وقال الألباني: حسن صحيح).

ومن فضل هذه الصلاة أن الله-سبحانه وتعالى- يتكفَّل لصاحبها بأن يكفيه يومه الذي يصليها فيه، وجاءت الكفاية عامة لتشمل الحفظ من الشيطان، وتوفير الرزق الحلال وردّ الشر والمكروه، وما إلى ذلك، فعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل يقول: يا ابن آدم اكفني أول النهار بأربع ركعات أكفك بهن آخر يومك" (رواه أحمد، وقال الألباني: صحيح).

وله شاهد عن أبي مرة الطائفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: "ابن آدم صلِّ لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره" رواه أحمد، وقال الألباني: صحيح لغيره.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين". (رواه أبو داود، وقال الألباني: حسن).

فالمعنى من خرج من بيته أو سوقه، أو شغله متوجهًا إلى صلاة الضحى تاركًا أشغال الدنيا لا ينصبه بضم الياء من الإنصاب وهو الإتعاب مأخوذ من نصب بالكسر إذا تعب، وأنصبه غيره أي أتعبه، ويروى بفتح الياء من نصبه أي أقامه، قاله زين العرب، وقال التوربشتي: هو بضم الياء والفتح احتمال لغوي لا أحققه رواية إلا إياه؛ أي لا يتعبه الخروج إلا تسبيح الضحى، ووضع الضمير المنصوب موضع المرفوع؛ أي: لا يخرجه ولا يزعجه إلا هو كالعكس في حديث الوسيلة، وأرجو أن أكون أنا هو قاله الطيبي، وقيل: هذا من باب الميل إلى المعنى دون اللفظ وهو باب جليل من علم العربية، وجعل الكشاف منه قوله تعالى: (فشربوا منه إلا قليل منهم) أي في القراءة الشاذة بالرفع؛ إذ معنى ذلك فلم يطيعوه إلا قليل منهم، وكذا هنا إذ معنى لا ينصبه إلا إياه لا يقصد ولا يطلب إلا إياه، وقال ابن الملك وقع الضمير المنصوبَ موضع المرفوع؛ لأنه استثناء مفرغ يعني لا يتعبه إلا الخروج إلى تسبيح الضحى فأجره كأجر المعتمر. (مرقاة المفاتيح للملا على القاري).

وهذه الصلاة تسمَّى صلاة الأوَّابين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أوَّاب قال: وهي صلاة الأوَّابين» رواه ابن خُزَيمة والحاكم. قوله الأوَّاب: أي كثير الرجوع بالتوبة إلى الله عزَّ وجلَّ.

المسألة الثانية: حكمها:

صلاة الضّحى نافلة مستحبّة عند جمهور الفقهاء، وصرّح المالكيّة والشّافعيّة بأنّها سنّة مؤكّدة. فعن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: «أوصاني حبيبي بثلاث لن أدعهنّ ما عشت: بصيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر، وصلاة الضّحى، وأن لا أنام حتّى أوتر» (الموسوعة الفقهية الكويتية).

وقد جمع العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه الماتع زاد المعاد في هدي خيرِ العباد الأقوال في حكمها فبلغت ستة:

القول الأول: أنها سنة وهو قول جماهير أهل العلم سلفًا وخلفًا، وهذه الطائفة رجحت رواية الفعل على الترك بأنها مثبتة تتضمن زيادة علم خفيت على النافي، قالوا: وقد يجوز أن يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس ويوجد عند الأقل.

والقول الثاني: أنها لا تستحب أصلاً. ويروى هذا القول عن عائشة، وابن مسعود، وابن عمر، وأبي بكرة من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين، وهذه الطائفة ذهبت إلى أحاديث الترك، ورجَّحتها من جهة صحة إسنادها، وعمل الصحابة بموجبها.

والقول الثالث: أنها لا تشرع إلا لسبب، ويروى هذا القول عن عائشة، وهذه الطائفة ذهبت إلى أنها تُفعل بسبب من الأسباب، وأن النبي صلى الله عليه وسلم، إنما فعلها بسبب.

والقول الرابع: يستحب فعلها تارة وتركها أخرى، ويروى هذا القول عن بعض الصحابة، وهذا أحدُ الروايتين عن أحمد، وحكاه الطبري عن جماعة، وهذه الطائفة ذهبت إلى استحباب فعلها غِبًّا، فتُصلى في بعض الأيام دون بعض.

والقول الخامس: تستحب صلاتها، والمحافظة عليها في البيوت.

والقول السادس: أنها بدعة. روي ذلك عن ابن عمر، وعبد الرحمن بن عوف، وإليه ذهب الهادي عليه السلام، والقاسم، وأبو طالب. (انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، ونيل الأوطار للشوكاني بتصرف).

ونكتفي بهذا القدر على أن نبدأ في الحلقة القادمة إن شاء الله بالحديث عن أدلة كل فريق، وبيان القول الراجح منها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مواجهة المكر بالشرع

بقلم الشيخ/ محمد صفوت نور الدين
رحمه الله تعالى

الحمد لله يدافع عن الذين آمنوا، ويتولاهم ويرد كيد الذين كفروا، ويوهن قواهم، ويحمي المؤمنين من المنافقين أن يصيبهم شرهم وأذاهم، ويرفع المؤمنين فوق كل من عاداهم.

وسبحان الله يتولى بفضله عباده المؤمنين ويقصم بعدله، ويعذب الكافرين.

هذا وإن الشيطان ليوحي إلى أوليائه ليخدعوا المؤمنين ويزين لهم أن يكيدوا لهم ويحثهم على المكر بهم وخداعهم، والله سبحانه لم يأمر المؤمنين أن يواجهوا المكر بالمكر مثله، ولا أن يدفعوا الكيد بالكيد يقابله، ولا أن يتخلصوا من الخداع بخداع مثله.

إنما أمرنا الله سبحانه أن ندفع المكر والخداع والكيد وسائر الحِيَل المحرمة بالشرع الذي أنزله وأتمه وأكمله؛ لأنه سبحانه هو الذي يتولى الدفاع عن المؤمنين فيقول جلت قدرته: (وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ). أي: أنه لا يجوز للمسلم أن يخون ابتداءً، ولا أن يرد على الخيانة بخيانة مثلها، فالمسلم لا يخون حتى من خانه.

والله سبحانه يقول: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ). ولقد أخرج أبو داود في سننه بسند صحيح قال: (كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول: الله أكبر. الله أكبر. وفاء لا غدر. فإذا عمرو بن عبسة رضي الله عنه فأرسل إليه معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء)، فرجع معاوية (انتهى من سنن أبي داود).

قال المعلق على (صحيح أبي داود): اتفق الشراح على أن هذا الحديث عام في جميع العقود بين المتحاربين وهو بين المتعاملين من المسلمين أوثق وآكد.

والله سبحانه يبعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين ليلزموا شرعه ولا يخالفوا أمره، فلا يدفعهم الشيطان بمكره ليمكروا أو يكيدوا ويخدعوا أو يخونوا ويحتالوا، فيقول سبحانه: (إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)، وهو سبحانه يقول: (وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ).

والله سبحانه يقول في كتابه الكريم (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ) (آل عمران: ٥٤)، ويقول: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ) (الأنفال: ٣٠)، ويقول سبحانه: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا) (الطارق: ١٥).

وقال- عز وجل-: (قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) (يونس: ٢١). وقال سبحانه: (وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا

يَشْعُرُونَ) (النمل: ٥١). وقال: (قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) (النحل: ٢٦).

والله يهدد الماكرين بالسوء بقوله: (أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (النحل: ٤٥- ٤٧). ويقول سبحانه: (وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ) (القلم: ٤٥).

والله سبحانه يؤدب المؤمنين ويعلمهم الشرع الذي يواجهون به الكافرين والمنافقين في كيدهم ومكرهم: (وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (آل عمران: ١٢٠).

ومن قوله سبحانه ليطمئن المؤمنين: (إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ) (النساء: ١٤٢). ومن القصص القرآني أن الله هو الذي ردَّ الكيد عن يوسف لما كاد النسوة له: (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ (٣٣) فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) (يوسف: ٣٣، ٣٤). وقال عز وجل: (كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) (يوسف: ٧٦). فهو الذي أنطق إخوة يوسف فقالوا: (مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ) (يوسف: ٧٥). ولم يقولوا بدين الملك أو بعقوبة البدل؛ وذلك ليس إلا إلهام من الله كيدًا منه سبحانه ليرد كيد إخوة يوسف بكيد خير منه.

وكذلك لما كاد فرعون فجمع السحرة كاد الله فجعل عصا موسى تنقلب حية: (تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) (الأعـراف: ١١٧). ومن كيده سبحانه أن ألقى الإيمان في قلوب السحرة جميعًا فوقعوا ساجدين ونطقوا مؤمنين، وثبّتهم الله أمـام تهديد فرعـون ومـلأ الكافرين.

ولما كاد الكافرون لإبراهيم بالنار إحراقًا، كادهم الله بمكر الخير، فجعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم.

ومن كيد الله لقوم نوح أن صنع لهم بحرًا أمواجه كالجبال أغرق فيها الكافرين ونجّى نوحًا ومن معه في الفلك المشحون.

ومن كيد الله لفرعون أن فلق البحر بضربة من عصا موسى حتى عبر بنو إسرائيل، فلما دخل فرعون وملؤه انتظرهم البحر حتى دخلوا جميعًا، ثم أطبق الله البحر عليهم فأغرقهم أجمعين.

ولو ذهبنا نتتبع ذلك من القرآن لطال بنا المقام جدًّا، وخلاصة ذلك ما قاله ابن القيم في (إعلام الموقعين) (إن من كاد كيدًا محرمًا فإن الله يكيده ويعامله بنقيض قصده وبمثل عمله، وهذه سُنة الله في أرباب الحِيَل المحرمة أن لا يبارك لهم فيما نالوه بهذه الحيلة ويهيئ لهم كيدًا على يد من يشاء من خلقه يجزون به من جنس كيدهم وحيلهم، وفيها تنبيه على أن المؤمن المتوكل على الله إذا كاد الخلق فإن الله يكيد له وينتصر له بغير حول منه ولا قوة). (انتهى).

وليعلم المسلم أن النصر في اتباع شرع الله بالإيمان لا في متانة الكيد فهو سبحانه يقول: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). وفي اتباع شرع الله الرزق الواسع: (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٢٨).

فالواجب على المسلم أن يلزم الشرع في مقابل كل كيد أو مكر أو خداع، وأن يلزم الشرع في كل أمر، والله يدافع عنه ويكيد له. فاللهم ألهمنا أن نكون على شرعك سائرين وبه عاملين. آمين آمين.

والله من وراء القصد.

السلفية منهج حياة

إعداد أ.د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

أيها القارئ الكريم:

تحدثنا في المقال السابق حول المدخل الذي جعلناه توطئة للحديث تحت عنوان: «السلفية منهج حياة».

فهي ليست حزبًا ولا تيارًا ولا فكرًا.

واليوم نتكلم عن تعريف هذا المصطلح في ضوء اعتبارات خمسة:

الأول: المعنى اللفظي للمصطلح.

الثاني: المصطلح في تراث المسلمين.

الثالث: المصطلح في الفكر الغربي.

الرابع: المصطلح عند العصرانيين.

الخامس: المصطلح عند الإسلاميين المعاصرين.

ولقد حددنا هذه الاعتبارات الخمسة لتكون منطلقًا للحديث عن مصطلح (السلفية) بشيء من الحصر؛ وذلك حتى لا نفتح الباب للحديث عن هذا المصطلح بما يُخرج المقال عن مضمونه.

وإن شاء الله سنعرض هذه المنطلقات واحدًا تلو الآخر، ونبين: ماذا يعني المصطلح في كل منطلق من هذه المنطلقات الخمسة؟

فأولاً: ما هو المعنى اللفظي لمصطلح: (السلفية)؟

هذا المصطلح في العربية يُقصد: كل ما تقدم وسبق يُقال له: سلف.

فالسلف هم: الجماعة المتقدمون في السير أو في السن أو في الفضل أو في الموت عن المتأخرين.

فكل من تقدم عنك يُسمى: سلف لك.

وأضيفت (الياء) للفظة: (سلف).. للنسبة. فالسلفي: هو المنسوب أو المنتسب إلى السلف.

والسلفية: بزيادة الياء المشددة والتاء المربوطة - تاء الفعل - مصدر صناعي من السلف، فيصير اسم معنى مجرد، فهو يدل على صفة في اللفظ الذي صنع منه.

والخلاصة:

السلفية: هي خاصية السبق عند الجماعة المتقدمين، سيرًا أو سنًّا أو فضلاً أو... إلخ.

وأما ثانيًا: مصطلح السلفية في تراث المسلمين.. ماذا يعني؟

السلف في تراث المسلمين يُقصد به الصدر الأول من المسلمين في هذه الأمة، وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويطلق لفظ (السلفي) على الحامل للمعنى الذي حملوه من المفاهيم الإسلامية والسلوك أيضًا.

وقد ورد في هذا المعنى نصوص منها:

ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: «.. ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «مَن كان على ما أنا عليه وأصحابي» أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وحسنه الألباني.

ومنها أيضًا قول ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم مستنًّا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تُؤمَن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا».

ولهذا لما ظهرت الفتن العقدية ومقالات الفرق التي خالفت مقالات الصحابة الكرام، ظهر معنى لمصطلح السلفية جديد، أطلقوا عليه: أهل السنة والجماعة، ثم أصبح سمة لكل من ينصر مقالات أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ كالإمام أحمد لُقِّب بـ«إمام أهل السنة»، عندما

نصر السنة يوم المحنة- خلق القرآن-، وغير الإمام أئمة كُثر.

وهذا جعل بعض المؤرخين يعتبرون «السلفية» ظاهرة عباسية، ظهرت في العصر العباسي، وذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة».

فأما ثالثًا: المصطلح- السلفية- في الفكر الغربي، ماذا يعني؟

وجدنا أن علماء الغرب أطلقوا على السلفية لفظة: «الأصولية»، ولها نسبة عندهم تُعطي نفس المعنى الذي تذهب إليه لفظة «السلفية»، فقد ظهرت حركة لدى البروتستانت، تؤكد على أن الكتاب المقدس معصوم عن الخطأ في العقيدة والأخلاق والأخبار التاريخية والغيبية؛ سموها بـ: «الأصولية»، وقد اتصفت بصفات أبرزها:

١- تنزيه الإنجيل عن احتمال تسرب الخطأ إليه.

٢- ظاهرية التلقي لكلماته دون تأويل أو تحليل.

٣- التنكر لإنجازات العصر الحاضر في التطورات.

٤- التشدد في الالتزام بالدين، وسعيهم لفرض الدين على أهله بالقوة والغصب.

وهذه السمات الأربعة جعلتهم يطلقون على من ينتسب إلى السلفية بأنهم: «أصوليون».

بل وجدنا أيضًا علماء الفلسفة الأوروبية الحديثة أطلقوا على بعض علماء دينهم أنهم: «سلفيون».

ومن أبرز رواد الاتجاه السلفي عندهم:

-لويس دي يونالد (ت: ١٨٤٠م).

والذي يحارب دعوة: أن العقل البشري يستطيع الوصول إلى الحقائق بقدراته الفردية، وينبغي أن يعول على الوحي المنزل من عند الله.

- جوزيف دي مستر (ت: ١٨٢١م):

والذي يرى ضرورة اعتماد عصمة البابا في أمر الدين، وأن البروتستانية التي أباحت النظر في الكتب المقدسة للجميع هي بداية الشر.

- فليستي دي لامني (ت: ١٨٥٤):

وقد وافق السابق فيما ذهب إليه، ونشر كلامه.

وغيرهم إلا أن ما ذكرنا أشهرهم في الفكر الغربي، لا سيما الحديث.

أما رابعًا وخامسًا: المصطلح بين العصرانيين والإسلاميين في العصر الحديث نستطيع أن نعنون له بـ:

المصطلح في الفكر العربي المعاصر..

وذلك لحصر الكلام عن المصطلح في هذه الفترة، لا سيما وقد تناولت تعريف المصطلح بعد اعتبارات أيضًا. وهذا ما سنفرد له الحديث في المقال القادم، إن شاء الله وقدر.

سائلين الحق تبارك وتعالى أن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

عزاء واجب

انتقل إلى رحمة الله تعالى رجل نحسبه من أطيب الرجال، ولا نزكي على الله أحدًا؛ الحاج محمود رابع، أمين صندوق فرع أنصار السنة ببليس سابقاً، نسأل الله العلي القدير أن يرحمه رحمةً واسعة، وأن يغفرله، والبقاء والدوام لله تعالى.

رئيس التحرير

واحة

من نور كتاب الله

تحذير إلهي من مخالفة الكتاب والسنة

قال تعالى: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (المائدة: ٩٢).

من فضائل الصحابة

عن أيوب السختياني قال: "دخلت المدينة والناس متوافرون، القاسم بن محمد وسليمان، وغيرهما فما رأيت أحدًا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان" (السنة للخلال).

حِكَم ومواعظ

وقال ابن السماك: "الزاهد الذي إن أصاب الدنيا لم يفرح، وإن أصابته الدنيا لم يحزن، يضحك في الملا، ويبكي في الخلا". (العقد الفريد)

من أقوال السلف

عن الحسن البصري رحمه الله قال: "يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله؛ فإنكم من أقل الناس". (أصول الاعتقاد)

من حكمة الشعر

ارض من الدهر ما أتاك به
من يرض يومًا بعيشه نفعه
قد يجمع المال غير آكله
ويأكل المال غير مَن جمعه

(العقد الفريد).

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

حرمة دماء أهل القبلة

عن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلَى الله عليه وسلّم يقول: « مَن وحَّدَ اللّهَ، وكَفَرَ بما يُعْبدُ من دونِهِ، حرَّمَ اللّهُ مالَهُ ودمَه، وحِسابُهُ على اللهِ عزَّ وجلّ" (صحيح مسلم ح٢٣)

من دلائل النبوة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابِيٌّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال: بم أعرفُ أنكَ نبِيٌّ؟ قال: إنْ دعوتُ هذا العذقَ منَ هذهِ النخلَةَ تشهدُ أنّي رسولُ الله. فجعل ينزِلُ منَ النخلَةِ حتى سقَطَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ثمَّ قال: ارجع، فعاد، فأسلَمَ الأعرابِيُّ. (سننَ الترمذي ٣٦٢٨).

من غريب الحديث

«ما كانَ لنَبيٍّ أنْ تَكُونَ لَهُ خَائنَةُ الأعيُن» أي: يُضْمِرِ في نفسه غير ما يُظْهره، فإذا كفَّ لِسَانَهُ وأومأ بعَينِه فَقَدْ خَانَ، وإذا كان ظهور تلك الحالة من قِبَل العين سميت خائنة الأعين. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «يَعْلَمُ خَائنَةَ الأَعْيُنِ» (غافر:١٩). (النهاية لابن الأثير).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه شفاء من سبعين داءً، منها الجذام". الحديث منكر، أخرجه أبو نعيم. (السلسلة الضعيفة للألباني).

من حُسن السياسة

قال معاوية رضي الله عنه: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أنّ بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت. فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدّوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها. (العقد الفريد)

دراسات
شرعية

أثر السياق في فهم النص

(١١٧)

حجاب المرأة المسلمة

(٢٧)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

ما زال حديثنا متصلاً حول حجاب المرأة المسلمة: الدليل والاستدلال.

وقد انتهيت- بفضل الله تعالى- من أدلة القرآن الكريم، ثم انتقلت إلى أدلة السنة، ووصلت إلى الحديث السادس والعشرين.

الحديث السادس والعشرون:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: استأذن عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، قال عمر: فأنت يا رسول الله أحق أن يهبن، ثم قال: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك. (متفق عليه).

يقول الحافظ ابن حجر: «وعنده نسوة من قريش»، هن من أزواجه، ويحتمل أن يكون معهن من غيرهن، لكن قرينة قوله: «يستكثرنه» يؤيد الأول، والمراد أنهن يطلبن منه أكثر مما يعطيهن، وزعم الداودي أن المراد أنهن يكثرن الكلام عنده، وهو مردود بما وقع التصريح به في حديث جابر عند مسلم أنهن يطلبن النفقة. (فتح الباري ٤٧/٧).

قلت: لكنَّ حديث جابر الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر في صحيح مسلم هو في قصة أخرى، وفيه: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر، فدخل ثم أقبل عمر، فاستأذن فأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسًا حوله نساؤه ساكتًا... «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة». (صحيح مسلم ١٤٧٨).

والإمام النووي في شرحه لحديث سعد بن أبي وقاص لم يقيد قوله: «ويستكثرنه»، بحديث

جابر: «يسألنني النفقة»؛ لاختلاف الحديثين.

قلت: والحديث فيه قرينتان ترجحان أنهن لسن أمهات المؤمنين، أو لسن بمفردهن على الأقل؛ القرينة الأولى: قوله: «وعنده نساء من قريش»، ومن المعلوم أن أمهات المؤمنين لسن كلهن من قريش، إلا لو كان ذلك مخصوصًا ببعض أمهات المؤمنين القرشيات فقط، كما قال القسطلاني: هن عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش. (انظر مرقاة المفاتيح ٣٨٩٣/٩)، لكن لا توجد رواية فيها هذا التخصيص، ولا قرينة في السياق يُفهم منها هذا التخصيص، إلا قوله: «نساء من قريش»، فقد حاول أن يجمع بين هذا الوصف وبين «يستكثرنه النفقة» بأن ذلك من بعض أمهات المؤمنين القرشيات فقط. لكن كيف يصف الراوي أمهات المؤمنين بصفة غير أمهات المؤمنين، وهي الصفة التي كن يُوصفن بها عند ذكرهن. وهذا له أمثلة كثيرة، على سبيل المثال في حديث أنس رضي الله عنه قال: «أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بنى بزينب؛ فأشبع المسلمين خبزًا ولحمًا، ثم خرج إلى أمهات المؤمنين فسلَّم عليهن ودعا لهن». (رواه ابن سعد ١٠٧/٨، والنسائي في الوليمة ٦٦/٢ بسند صحيح، انظر آداب الزفاف في السنة المطهرة للألباني ص١٣٩).

وكذلك في حديث أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين...» (صحيح البخاري).

ولا أعلم حديثًا وصف أمهات المؤمنين بهذا الوصف: «نساء من قريش»، غير الحديث الذي بين أيدينا. أو يصفهن بما نادى الله عليهن في كتابه: «يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ» (الأحزاب: ٣٠).

القرينة الثانية: قول عمر رضي الله عنه للنساء: «أي عدوات أنفسهن»، فأرى أنه بعيد أن يخاطب عمر رضي الله عنه أمهات المؤمنين بهذا الخطاب في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو حتى في غيابه، فهذا يرجح عندي أنهن لسن أمهات المؤمنين.

القرينة الثالثة: هل تخشى أمهات المؤمنين عمر رضي الله عنه بحيث يختبئن منه، وذلك بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهذا يرجح عندي أنهن لسن أمهات المؤمنين، أو معهن غيرهن من النساء من قريش.

ويؤيد ذلك ما ورد في رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «.. وعنده نسوة قد رفعن أصواتهن..». (صحيح مسلم).

ومن الأسهل توجيه ما ورد في رواية مسلم لحديث جابر رضي الله عنه-لو افترضنا أن القصة واحدة كما قال بعض أهل العلم-: «ويستكثرنه النفقة»: أنهن كن نساء من قريش أسلمن ولم يسلم أزواجهن، أو غاب أزواجهن في غزو ونحوه. وفي عمدة القاري رد على قول الحافظ ابن حجر في رده على الداودي: «ويستكثرنه: أي الكلام؛ برواية جابر: يستكثرنه النفقة. قال العيني: ورد كلامه (أي الداودي)، ليس له وجه، ولا يصلح أن يكون حديث جابر مؤيدًا لما ذهب إليه هذا القائل؛ لأن حديث سعيد غير حديث جابر، ولئن سلمنا أن يكون معناهما واحدًا فلا يلزم من قوله: «يطلبن النفقة»، أن تكون تلك النسوة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم؛ لاحتمال أن يكون أزواج تلك النسوة غائبين، ولم يكن عندهن شيء؛ فجئن إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وطلبن منه النفقة، وأيضًا لفظ النفقة غير مخصوص بنفقة الزوجات مع ما لا يخفى. (انظر عمدة القاري ١٩٥/١٦).

قال النووي: «قال العلماء معنى يستكثرنه: يطلبن كثيرًا من كلامه وجوابه بحوائجهن وفتاويهن». (انظر شرح النووي على مسلم ١٦٤/١٥).

وفي قوله: «يبتدرن الحجاب»، أرجح انتقالهن إلى مكان آخر بحيث يختبئن عن عمر رضي الله عنه، وليس ارتداء الحجاب، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي؛ فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب». ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كن عندي»، ما يشعر أنهن غادرن مجلسهن مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم، واختبأن من عمر رضي الله عنه، وعلم عمر بما حدث من رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجَّه لهن الكلام في مكانهن، وأجبن عليه.

ويُثار سؤال معنا: إن كن لسن أمهات المؤمنين- كما رجحت- فهل كن يجلسن بلا حجاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي بلا تغطية الوجه؛ لأنه لا يُتصور جلوسهن متخففات من ملابسهن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسكت النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك. فمن قال: «ابتدرن الحجاب»، أي لبسن النقاب، فإن كن أمهات المؤمنين فلا إشكال في الحالتين، فهن في بيوتهن ومع زوجهن صلى الله عليه وسلم، لكن سنعود مرة ثانية إلى أن الخلاف في النقاب لا يشمل أمهات المؤمنين، فهذا واجب عليهن بلا خلاف. ومن قال «ابتدرن الحجاب»؛ أي: اختبأن خلف ما يحجبهن-وهذا ما رجحته- فهن- أي النساء- كن يجلسن محجبات، ثم اختبأن عندما سمعن صوت عمر رضي الله عنه.

وفي قوله: «فمن يبتدرن الحجاب»؛ فإن كان الكلام عن أمهات المؤمنين أو غيرهن فإنهن مأمورات بالحجاب. لكني أرى أن الحديث موضع الشاهد فيه: «يبتدرن الحجاب» ليس دليلاً صريحًا للفريق الذي قال بوجوب تغطية الوجه، ولا الفريق الذي قال بجواز كشف الوجه؛ لأن لفظ الحجاب من الألفاظ المشتركة، فقد يكون الحجاب هو التواري خلف بناء ونحوه، وقد يكون بالملابس التي تغطي سائر الجسد بما في ذلك الوجه والكفين، أو بما تغطي سائر الجسد إلا الوجه والكفين.

الحديث السابع والعشرون:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما انقضت عدتي من أبي سلمة أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمني وبيني وبينه حجاب، فخطب إليَّ نفسي. (أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨/٩٠- انظر جلباب المرأة المسلمة للألباني ص ٨٧).

قال الشيخ فريد أمين الهنداوي مستدلاً بالحديث على فرضية النقاب على غير أمهات المؤمنين: «المقصود من هذين الحديثين-هذا الحديث وحديث حفصة عندما طلقها النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي- تستُّر النساء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجال الأجانب، وتغطيتهن وجوههن عنهم.. ولما جاء يخطب أم سلمة كلمته من وراء حجاب.. وعندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على أم سلمة لم تكن أم سلمة وقتها من أمهات المؤمنين، ومع ذلك كلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب فكيف بمن هو دونه. (انظر اللباب في فرضية النقاب: ص ١٢٤-١٢٥).

(فائدة): هل من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم جواز النظر والخلوة بالمؤمنات الأجنبيات؟

هذه مسألة تنازع أهل العلم فيها؛ فمنهم مَن عدَّها من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم؛ كالحافظ ابن حجر الذي قال: «إنه يجوز له النظر إلى وجه المرأة، وأن يخلو بها». (انظر فتح الباري ٢٠٣/٩)، وهناك من أهل العلم مَن لم يَعُدّ ذلك من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم؛ كما قال العراقي: «فإنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يخلو بالأجنبيات ولا يصافحهن، وإن كان لو فعل ذلك لم يلزم منه مفسدة لعصمته، لكنهم لم يعدوا ذلك من خصائصه، فهو في ذلك كغيره في التحريم» (طرح التثريب ١٦٧/٥).

يقول الشيخ الألباني: «لكنَّ الظاهر أن الحجاب في هذه الرواية ليس هو الثوب الذي تتستر به المرأة، وإنما هو ما يحجب شخصها من جدار أو ستار أو غيرهما، وهو المراد من قوله تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» (الأحزاب: ٥٣).

قلت: وسواء كان الحجاب في الحديث هو التستر وراء جدار أو ستار-وهو الراجح-، أو ارتداء النقاب؛ فالحديث حجة لمن قال بتغطية الوجه، والفريق الذي قال بعدم وجوب تغطية الوجه لم ينازع في النقاب وفي انتشاره بين الكثير من الصحابيات، وإنما النزاع هو في حكمه، هل هو على الوجوب أم على الاستحباب.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

لغة الجسد وأهميتها للدعاة بين النظرية والتطبيق

الحلقة الأولى

إعداد **د. ياسر لمعي عبد المنعم**

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعدُ:

فَيُعَدُّ علم لغة الجسد من أشهر الأدوات وأهمها بالنسبة للقادة، وهي أداة يناقشها ويدرسها العديد من الأطباء النفسانيين، والكثير من مهتمي العلوم الإدارية؛ فمن يتمكن من فهم لغة الجسد، يستطيع التعرف على الحالة النفسية للمحاور، أو التلميذ، أو المستمع، أو المفاوض، أو المتكلم، فيرى ما يخفيه المتحدث والمستمع من مكنونات نفسه التي تظهر دون إرادة كاستجابة واستمتاع واستماع بما يقال أو ينطق فيسهب أو يختصر، وذلك من خلال حركات الأيدي، أو الوجه، أو القدمين، كما يمكن لمتقني التخصص التعرف على النمط الشخصي للمستمع أو للمحاور هل هو حسي أو بصري أو سمعي فينوع في أسلوبه وذلك من خلال قراءتك للنظرات والإيماءات، والكلمات، والإشارات غير اللفظية أيضًا.

ولكن للأمانة العلمية هذا الكلام-شأنه شأن كل العلوم الإنسانية- قابل للنقد والحذف والزيادة والنقصان؛ لأن الإيماءة كالكلمة لا تُفهم فهمًا صحيحًا ودقيقًا إلا في السياق الذي وردت فيه؛ لذا فإني أحذرك من الاعتماد الكلي على لغة الجسد؛ لأن هذا ربما يوقعك في خطأ وهذا شأن البشر، كما سأتعرض لقليل من التأصيل الشرعي للغة الجسد.

من الطبيعي أن تكون للحوار والخطاب قيمته العليا، وسماته العظيمة في بناء

الأفكار وتلاقحها وتشكيلها طبقًا للشرع الحنيف؛ لأن به يتم إرساء قواعد الأفكار وتخصيبها قبل أن تأخذ مداها في التطبيق، وأن كل مجتمع توجد فيه روح الحوار، وعرض الأفكار وتحليلها، تجد التفاهم موجودًا في هذا المجتمع، وحيث ما وجد الحوار وجد التعايش السلمي.

وحينما يختلف الناس-سواء كانت اختلافاتهم كلية أو جزئية- فإنهم يسلكون في معالجة هذا الخلاف مسالك شتى منها: القوة أو الحوار: فالقوة تكون-أحيانًا- وسيلة لحل الخلاف، وإنهاء الخصومات، وإثبات الحجة، إلا أنها لا تصلح أن تكون الحل الأول في ذلك؛ إذ إننا نجد أن كثيرًا من المبادئ والنظريات التي قامت على القوة، وعلى الحديد والنار-كما يقال- سرعان ما تهاوت وسقطت.

على حين أن الوجه الآخر للحضارة المادية المنحرفة-وهو وجه الرأسمالية- لا يزال حيًا، وربما قويًا ممكّنًا في الأرض، وما ذلك لأنه مؤمن بالله ولكن لأنه سلك الأسلوب الذي يمكن التعبير عنه بأنه الأسلوب الديموقراطي؛ وذلك على الأقل في بعض أساليبه وطرائقه ومعاملاته لشعوبه، فكان أرسخ وأبقى من النمط الشيوعي الشرقي المتعسّف.

أما في الإسلام، فإن المسلمين وإن شنّوا حروبًا ضد أعدائهم، لكن هذه الحروب لم تكن بهدف إكراه أحد على الدخول في الإسلام، فقد قال الله تعالى: «لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ» (البقرة:٢٥٦)؛ بل كانت بهدف إزالة الطواغيت التي تحول بين الناس وبين الدخول في الدين، أو تضغط عليهم، وتكرههم على ترك دينهم الحق، والدينونة بالكفر.

ولم يحفظ التاريخ أن المسلمين أكرهوا شخصًا واحدًا على الدخول في الإسلام؛ ومما يمكن أن نلحقه بالحروب كل صور المفاصلة بسبب الرأي بما في ذلك التباغض والتهاجر ومناصبة العداء ونحو ذلك من صور المغالبة.

وعليه فإن حسن قراءتك للغير بفهمك لقواعد قراءة الجسد سيجعلك ترى العالم من الأعلى وتحس بأنك أكثر ذكاء وصوابًا في التصرف مع المواقف، كما سيساعدك على الوصول إلى أصدقاء جدد، رفع نسبة تواصلك مع المستمعين، وتحسين حياتك الشخصية والاجتماعية والعملية بشكل لا يصدق، لذلك تعال معنا للتعرف على بعض الحقائق المتعلقة بقراءة لغة الجسد.

ومما يلحظ أن هناك ثلاثة عناصر أساسية في كل عملية تواصلية، أولها: الكلمات ثم نبرة الصوت بالإضافة إلى إشارات الجسد ولغته المختلفة، وتسمى الكلمات بالتواصل اللفظي فيما تدرج نبرة الصوت ولغة الجسد في التواصل غير اللفظي. «بمعنى أن كلماتك ونبرة صوتك وإيماءاتك غير المنطوقة تتسق جميعها معًا وتبعث أشكال التواصل تلك برسالة متجانسة للطرف الآخر». (جودي جيمس، الدليل الكامل في لغة الجسد، ٢٠١٣، ص ١٤).

ومحاولة خلق الانسجام بين هذه الأنواع هو الحل الوحيد لتحقيق الغاية التواصلية وعلى الرغم من أن لغة الجسد هي العامل المحفز بين الكلمات التي نتناقلها نحن والآخرون من أجل أن نستطيع تعزيز المعنى والفروق الدقيقة والتضمينات.

إلا أن كثيرًا من الناس لا يعيرون لها أي اهتمام، والحق أن الواقع ناشئ من جهلهم بالدور الكبير الذي تلعبه في العملية التواصلية رغم الاختلاف بين الثقافات من اللغات والعادات والتقاليد.

ومن أجل أن يكون الحديث بنّاءً لابد لنا من أن نتواصل مع الطرف الآخر أولاً، ونتفاهم معه بشكل واضح ومثمر.

ثانيًا.. إن كلاً منّا يمتلك قدرات فردية ومهارات أخلاقية يدير بها علاقاته مع الآخرين ويستخدمها في العديد من مواقف المساومة والتفاوض إلا أن من يجيد قراءة وإتقان لغة الجسد هو الفائز دائمًا إذ أنه متقدم على صاحبه في فهم كلماته من حيث التكذيب والتصديق والفهم والاستيعاب إذ أن هناك كلمات تكذبها حركات وألفاظ تخالفها إيماءات وابتسامات تكذبها عبس بالجبهة وأيمان وتأكيدات تنكرها عيون زائغة.

إلاّ أن في مواقف الاختلاف أو النزاع التي في الغالب تثير شحنة قوية من الانفعالات فإننا أحيانًا ننسى القواعد الأساسية للتواصل والحوار الهادئ؛ ومن ثم فإننا في هذه المقالات نلقي الضوء على ما أطلق فن قراءة لغة الجسد التي ثبت فعاليتها في إثراء الحوار والمحافظة على المسافات، والنفع بين المتحاورين، وهذا ما نخلص إليه- إن شاء الله-.

كذلك بالنظر في القرآن الكريم كمثال تشويقي ترى أنه يزخر بهذه اللغة قال تعالى: «فَأَتَتْ بِه قَوْمَها تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» (مريم: ٢٧-٢٩).

قَالَ تعالى: «قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا» (آل عمران:٤١).

فاستخدم الإشارة في الآية الأولى، واستخدم الرمز في الآية الثانية، وكأن القرآن يرسل لنا إشارات تفيد استخدام لغة الجسد. (أسامة جميل عبد الغني، لغة الجسد في القرآن، ٢٠١٠، ص١٢).

كذلك لا يخفى علينا ما يدور في الإعلام فيما يعرض على البرامج التلفزيونية في الفضائيات العربية وما يدور فيها من حوارات تتسم بالصوت العالي والتشنجات التي تصيب المتحاورين دون موضوعية في حواراته ويخلطون بين الموضوع والشخص مع الحضور الدائم لتدني لغة الحوار وغياب كامل لفن قراءة لغة الجسد بين كثير من المتحاورين تصل لسب وتجريح وتشكيك في النيات وكل محاور يفرض القطعية والأحادية لرأيه ثم الإطاحة بالآخر وكل ينتصر لرأيه دون إفادة للمشاهد البسيط.

لذا قمت أيضًا بإجراء دراسة استطلاعية ومقابلات للتعرف على رأي فئات مختلفة من المجتمع ممن ينتسبون لأهل الدين والنصح والإرشاد، ومن تزيا بزي أهل السنة والجماعة، ومن المثقفين وخيرة المجتمع كالأساتذة والباحثين وأولياء الأمور، وبعض الشباب؛ وقد ألقي عليهم هذا السؤال: ما أهم مهارة يفتقدها المحاور سواء كان مستمعًا أو متكلمًا؟ فقد ذكروا أن الكل يفتقد لآداب الحوار ومهاراته، ومنها معرفة ما يفكر فيه المحاور أو قراءة الوجوه-لغة الجسد- وعبروا عنها بمفهومهم كغير متخصصين.

وفي حدود علمي لا توجد دراسة متخصصة برؤية إسلامية تناولت تنمية مهارات المحاور، أو المستمع بلغة الجسد، والعمل على تفعيلها ووضعها في أسس الحوار، أو مهارات المحاور؛ ومن هنا نشأت فكرة هذ المقالات.

وإن شاء الله على مدار لقاءات عدة في صورة مقالات شهرية نتعرض (للغة الجسد بين النظرية والتطبيق) كتاب للمؤلف.

أخيرًا.. هذا فكري يحمله رأيي.

أرجو أن تقرأ مبناه، وتستوعب معناه، ثم تستخلص بعد ذلك فحواه-أرجو أخيرًا- أن تتوج قراءتك لخواطري بالتواصل الهادف، والإضافة البناءة.

هذا وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بحارُ الفِتن وسُفنُ النّجاة

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾

كيف فتن النّاسُ بعضهم ببعْض؟

(٢)

إعداد **د. عماد عيسى**

المفتش بوزارة الأوقاف

الْحَمْد لله الَّذي طهَّر قُلوبَ أَوْليائه بمَاءِ هدَايته، وقرَّبَهم بالهِدَاية زيادةً لَهُم من عنَايته، والصلاة والسلام على صاحبِ الْمَقام الْمَحْمود في العُقبى، والغَنِيّ عن أنَ يَسْأل أجرًا إلا الْمَوَدّة في القُربى، والْمَخْصُوص بمَنْصِب لم يُشاركه أحدٌ في معَاليه، هوَ فكُّ الرّقاب والصّكاك يوم يُغلَق الرهنُ فيه، وعلى آله وصحبه وتابعيه ومن تبعهم إلى يوم الدين من مُحبِّيه.

وبعد، فمن فتَّشَ عن هذه الفتْنة – فتنة الناس بعضهم ببعض- وجَالَ في معَانيها بانَتْ له خَوَافيها، واتّضحتْ لدَيْه مبَانِيها، وأفصَحَتْ له عمَّا فيها، فقد قدَّر الله تعالى الناسَ- بحِكْمَته ورَحْمَته- منازِلَ ومناقل، وجعلَهم أصنافًا وألفافًا، وخلَقهم على أنحاءٍ كثيرة، قال تعالى: «وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ» (الأنعام: ١٦٥).

فالنَّاسُ كبَحْرٍ مضطرب الأمْواج فيهم العَذْبُ الفُرَاتُ، والْمِلْحُ الأجَاج، ومنهم الرّابِحُ الصّالِحُ، والخَاسرُ الطّالِح.

قالَ ابن كثير: فَاوَتَ بَيْنَكُمْ في الْأَرْزَاقِ وَالْأَخْلاق، والمحاسن والمساوي، وَالْمُنَاظِرِ وَالْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ في

ذَلِكَ، كَقَوْلِه: «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا» (الزُّخْرُف: ٣٢)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا» (الإسراء: ٢١).

وَقَوْلِه: «لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ» أَيْ: لِيَخْتَبِرَكُمْ فِي الَّذِي أَنْعَمَ بِه عَلَيْكُمْ وَامْتَحَنَكُمْ بِه، لِيَخْتَبِرَ الْغَنِيَّ فِي غِنَاهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ شُكْرِه، وَالْفَقِيرَ فِي فَقْرِه وَيَسْأَلُهُ عَنْ صَبْرِه.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهِ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّه مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» رَوَاه مُسْلِمٌ.

ولم يقصُرْ الله تعالى هذا التنوُّع والاختلافَ على زمن دون زمن، بل جعل ذلك مُشتركًا مقْسُومًا بين العُصُور، فمنهم علماء ودون ذلك، وملوكٌ ورعيّة، وأغنياء وفقراء، وضعفاء وأقوياء، ومن جهة الأخلاق منهم من فيه سهولةٌ وسمَاح، ومنهم من فيه عسرٌ ويُبُوسةٌ، ومنهم سليم الناحية نقيُّ الفطرة، ومنهم الحاقدُ والشانئ، ومنهم مُهْتدُون ومنهم ضالّون غُواة، ومنهم صادقون ومنهم كذبة حُواة، ومنهم ذاكرون وللنداء مُلبُّون، ومنهم غافلون عن الحق وفي الباطل عُواة.

هذا، وتصنيفهم أمرٌ اقتصاصه يطول، وحكايته تحول، ومن رام منه بلوغ الغاية مسَّهُ النَّصَب ولم يصل بعدُ إلى النهاية. وهذا ما جعل الإنصافَ بين الناس قليلاً، والإقرارَ بالْحَقّ والاعترافَ به ثقيلاً، لهذا يتجلّدُون في مذاهبهم كل الْجَلادة، ويتبلّدون فيها كلَّ البَلادَة حتَّى ولو كان بها من الشُّذوذ ما بها فاللّه المستعان.

قال ابن القيم: قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً» (الفرقان: ٢٠)، وهذا عامٌّ في جميع الْخَلْق، امْتَحنَ بعضَهم ببعْض، فامتَحَنَ الرُّسلَ بالْمُرْسَل إليهم، ودعوتهم إلى الحق والصبر على أذاهم، وتحمُّل الْمَشاقّ في تبليغهم رسالات ربّهم، وامتَحَن الْمُرْسل إليهم بالرسُل، وهل يطيعونهم، وينصرونهم، ويصدِّقونهم، أم يكفرون بهم، ويردون عليهم، ويقاتلونهم؟ وامتحن العلمَاء بالجهّال، هل يعلّمونهم، وينصحُونَهم، ويصبِرون على تعليمهم ونُصْحِهم، وإرشَادهم، ولَوَازم ذلك؟

وامتحنَ الجهّال بالعلمَاء، هل يطيعونهم، ويهتدون بهم؟ وامتحن الْمُلوك بالرعيّة، والرعيّة بالْمُلوك، وامتحن الأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء، وامتحن الضعفاء بالأقوياء، والأقوياء بالضعفاء، والسادة بالأتباع، والأتْباع بالسادة، وامتحن الْمَالك بمَمْلوكه، ومَمْلوكه به، وامتَحَن الرَّجُل بامْرَأته وامْرَأته به، وامتحن الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، والمؤمنين بالكفار، والكفار بالمؤمنين.

وامتحن الآمرين بالمعروف بمن يأمرونهم، وامتحن المأمورين بهم، ولذلك كان فقراء المؤمنين وضعفاؤهم، من أتباع الرسل، فتنة لأغنيائهم ورؤسائهم، امتنعوا من الإيمان بعد معرفتهم بصدق الرسل، وقالوا: «لَوْ كانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ» (الأحقاف: ١١).

وقالوا لنوح عليه السلام: «قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ» (الشعراء: ١١١).

قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم

بِبَعْضٍ لِيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ » (الأنعام: ٥٣).

فـإذا رأى الشريفُ الرئيسُ المسكينَ الذليلَ قد سبَقَه إلى الإيمان ومتابعة الرسول حَمِيَ وأَنِـفَ أنْ يُسلم، فيكون مثلَه، وقال: أسلم فأكون أنا وهذا الوضيع على حدٍّ سواء؟

قال الزجّاج: كان الرجلُ الشريفُ ربّمَا أراد الإسلام، فيمتنع منه لئلّا يُقال: أسْلَمَ قبْله مَنْ هو دُونه فيُقيم على كفره لئلّا يكون للمُسلم السّابقة عليه في الفضْل.

ومن كوْن بعض الناس لبعضهم فتْنةً، أنَّ الفقير يقول: لمَ لَمْ أكن مثلَ الغني؟ ويقول الضعيف: هَلّا كنتُ مثلَ القويّ؟ ويقول المبْتَلى، هلّا كنتُ مثل المُعافى؟ وقال الكفار: «لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ » (الأنعام: ١٢٤).

قال مقاتل: نزلت في افتتان المشركين بفقراء المهاجرين، نحو بلال، وخباب، وصهيب، وأبى ذر، وابن مسعود، وعمار، كان كفار قريش يقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين تبعوا محمدًا من موالينا وأراذلنا؟ قال الله تعالى: «إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ » (المؤمنون: ١٠٩- ١١١)، فأخبر سبحانه أنه جزاهم على صبرهم، كما قال تعالى: «وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ » (الفرقان: ٢٠). قال الزجاج: أي: أتصبرون على البلاء، فقد عرفتم ما وجد الصابرون. (إغاثة اللهفان: ٢/ ١٦٠ - ١٦٢).

ومنها كون الرجل فتنةً للمرأة، والمرأةِ فتنةً للرجل، والغنيّ فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، والفاجر فتنة للبَّر، والبَرّ فتنة للفاجر، والكافر فتنة للمؤمن، والمؤمن فتنة للكافر كما قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ » (الأنعام: ٥٣)، وقال الله عز وجل: «وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا » (الفرقان: ٢٠).

والمذهبُ الشّريفُ الذي صانَ الله أهله عن التّحريف هو السّعْي إلى النّجاة من تلْكَ المْهَالك، والاستقامة على الصّراط المستقيم للسّالك، وذلك لأنّه حقّق العملَ بعد الدّعوى وذاك هو الشّاهد وحصَلَ ما هو على أكثر النّاس صعبٌ ومتباعد، وهذه ثَمَرة القَوَاعد والمْطْلوب كضَالّة النّاشد.

فمن نَحّى الهوى، وراجَعَ عقْلَهُ، وحرَسَ قلْبَه، وجدَّدَ إيمانَه، لم يقعْ في حبائلِ هذه الفتْنة ولم يَسْقُط في غوَائلها، وإن كانتْ هذه الأمورُ عسيرةً إلا على من يسّرها الله له «وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّٰه».

وهذه الأمور لها من الثِّقَل على النّفْس شيءٌ لا يُوصف، لكنَّ مع الصّبْر والاستعانة بالله يجعلُ الله بيْنَك وبينها نسبًا، ويهيّء لك منها سَبَبًا، ويُزَيِّنها في عَيْنك، ويُحَبّبها إلى قلْبك حتّى تُصْبح على قلْبك كبَرْد اليَقين فتُجَمّل الحَسَن في عَيْنكَ، وتكرِّه إليها القَبيح.

وللحديث بقية إن شاء اللّه، نسأل الله أن ينجينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

إعلام أهل الديانة بوجوب أداء الأمانة

الحلقة الثانية

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن الأمانة ووجوب أدائها، والتحذير من تضييعها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٦- ولأمانته مع أهل الأرض سُمِّيَ رسول صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين:

ففي قصة بناء الكعبة أنَّ أبا أُمَيَّةَ بنَ المُغيرة بن عبد الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُوم-وكان عامئذ أَسَنَّ قُرَيش كلهم- قال: «يا مَعشَرَ قُريشٍ، اجعَلوا بينَكم فيما تَختلفون فيه أوَّلَ مَن يدخُلُ من باب هذا المسجد يَقضي بينكم فيه، ففعَلوا، فكانَ أوَّلُ داخل رَسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فلمَّا رأَوْه قالوا: هذا الأمينُ رَضينا، هذا محمَّدٌ، فلمَّا انتَهى إليهم وأخبَرُوه، قالَ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: هَلُمَّ إليَّ ثَوبًا، فأُتيَ به، فأخَذَ الرُّكنَ- يعني الحجَرَ الأسودَ - فوضَعَه فيه بيده، ثمَّ قال: لتأخُذْ كلُّ قَبيلةٍ بناحيةٍ منَ الثَّوبِ ثمَّ: ارفَعُوه جَميعًا، ففعَلوا، حتَّى إذا بَلَغُوا به موضعَه وضَعَه هو بيده صلَّى الله عليه وسلَّم، ثمَّ بَنى عليه، وكانت قُرَيشٌ تُسمِّي رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ قبلَ أنْ ينزِلَ عليه الوَحيُ: الأمينَ» (عمدة التفسير، وصححه أحمد شاكر).

٧- وشاركه في ذلك إخوانه الأنبياء، فهم أعظم البشر أداء للأمانة:

فها هو نبيُّ الله هود عليه السلام لمَّا دعا قومَه أنْ يستَجيبوا لداعي الله واتَّهموه بالسَّفاهة والكذب؛ « قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ » (الأعراف: ٦٧، ٦٨).

بل لقد جاء جميعُ الرسل وأخبروا قومَهم بأمانَتهم في تبليغ الرسالة إليه:

قال نَبي الله نوح عليه السلام لقومه: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» (الشعراء: ١٠٧).

وقال نبيُّ الله هود عليه السلام لقومه: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» (الشعراء: ١٢٥).

وقال نبيُّ الله صالح عليه السلام لقومه: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» (الشعراء: ١٤٣).

وقال نبيُّ الله لوط عليه السلام لقومه: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» (الشعراء: ١٦٢).

وقال نبي الله شعيب عليه السلام لقومه: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» (الشعراء: ١٧٨).

وقال نبيُّ الله موسى عليه السلام لقومه: « أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ » (الدخان: ١٨).

وقد قيل في قوله تعالى: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» (الشعراء: ١٠٧)؛ أي: لا يخون ولا يخدع ولا يغش، ولا يزيد شيئًا أو ينقص شيئًا ممَّا كلفه من التَّبليغ.

٨- ولا بد للأمانة من إيمان، لقبولها يوم القيامة:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلْتُ: يا رسولَ الله، أخبِرْني عن ابنِ عمِّي ابنِ جُدعانَ قال: فقالَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: ما كان؟ قُلْتُ: كان يَنحَرُ الكَوْماءَ، وكان يحلبُ على الماء، وكان يُكرمُ الجارَ، وكان يُقْري الضَّيفَ، وكان يَصِلُ الرَّحمَ، ويَصدُقُ الحديثَ، ويُوفي بالذِّمَّة، ويفُكُّ العانيَ، ويُطعمُ الطعامَ، ويُؤَدِّي الأمانةَ، فقال: هل قال يومًا واحدًا: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من نار جهنَّمَ؟ قُلْتُ: لا، ما كان يَدْري ما جهنَّمُ. قال: فلاَ إذَنْ» (رواه الطحاوي في مشكل الآثار، وصححه

شعيب الأرناؤوط).

فابن جدعان بالرغم من أنه كان يؤدي الأمانة، إلا أنها لن تنفعه في الآخرة؛ لأنه لم يأتِ بالشرط الأول من شروط قبول العمل الصالح، ألا وهو الإيمان بالله، فلم يدعوه يومًا: اللهم إني أعوذ بك من نار جهنم.

٩- وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عمن لا أمانة له:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا إيمانَ لِمَن لا أمانةَ له، ولا دينَ لِمن لا عهدَ له» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب وصححه الألباني)

وللحديث تفسيران:

الأول: نفي الإيمان، أو الدين جملة عن الخائن، أو ناقض العهد: وذلك في حالة استحلاله للخيانة، ونقض العهد.

الثاني: نفى كمال الإيمان، وكمال الدين، فمن يخون أمانته ولا يؤديها، وينقض عهده، ولا يوفي به ليس من أهل الكمال في الإيمان والدين.

١٠- وأداء الأمانة من علامات حب الله ورسوله:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «نَزَلَ بالنَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَضْيَافٌ منَ الْبَحْرَيْنِ، فَدَعَا النَّبيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ بوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فَبَادَرُوا إِلَى وَضُوئه فَشَرِبُوا مَا أَدْرَكُوهُ مِنْهُ، وَمَا انْصَبَّ مِنْهُ في الأَرْضِ فَمَسَحُوا بِه وُجُوهَهُمْ وَرُؤوسَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: « مَا دَعَاكُمْ إِلَى ذَلكَ؟ قَالَ حُبًّا لَكَ لَعَلَّ اللهِ يُحِبُّنَا يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ إنْ كنتُمْ تُحبُّونَ أَنْ يُحِبَّكُمُ الله و رسولُهُ فَحافظُوا على ثلاثِ خصالٍ: صدْقِ الحَديثِ، و أَدَاءِ الأَمانَةِ، و حُسْنِ الجوَارِ.» (رواه الخلعي في الفوائد، وحسنه الألباني بمجموع طرقه).

والراعون لأماناتهم في الفردوس الأعلى، مكرمون في الجنة:

أ- الراعون لأمانتهم في الفردوس الأعلى:

قال تعالى: «وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ » (المؤمنون: ٨- ١١)

ب- الراعون لأمانتهم، مكرمون في الجنة:

«وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ » (المعارج: ٣٢- ٣٥).

١١- والفوز الحقيقي في حفظ الأمانة:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، صدْقُ الحديثِ، و حفْظُ الأمانةِ، و حُسْنُ الخُلقِ، وعفَّةُ مَطْعَمٍ». (أورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني).

١٢- أداء الأمانة من صفات المؤمنين:

قال تعالى: «وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ » (المؤمنون: ٨)، قال السعدي - رحمه الله - في « تفسيره « (أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها والوفاء بها، وهذا شامل لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربه ، كالتَّكاليف السِّرِّيَّة، التي لا يطَّلع عليها إلَّا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار». اهـ.

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمنُ مَن أمنَهُ النَّاسُ على أموالِهمْ وأنفُسِهمْ». (رواه ابن ماجه وصححه الألباني)

١٣- أداء الأمانة علامة على العلم:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنت غلامًا يافعًا أرعى غنمًا لعقبةَ بنِ أبي معيطٍ فجاء النبيُّ صلَّى الله عليه وسلمَ وأبو بكرٍ رضيَ الله تعالى عنهُ وقد فرَّا من المشركينَ فقالا: يا غلامُ هل عندَك من لبنٍ تسقينَا؟ قلت: إني مؤتَمنٌ ولست ساقيَكما فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلمَ: هل عندَك من جزعةٍ لم ينزِ عليها الفحلُ؟ قلت: نعم فأتيتُهما بها فاعتقلها النبيُّ صلَّى الله عليه وسلمَ ومسح الضرعَ ودعا فحفل الضرعُ ثم أتاه أبو بكرٍ رضيَ الله عنهُ بصخرةٍ منقعرةٍ فاحتلب فيها فشربٍ وشرب أبو بكرٍ ثم شربتُ ثم قال للضرعِ: اقلُصْ فقلص فأتَيته بعد ذلك فقلت: علمنيَ من هذا القولِ قال: إنك غلامٌ معلمٌ قال: فأخذت من فيه سبعينَ سورةَ لا ينازعُني فيها أحدٌ». (رواه أحمد في مسنده وصححه أحمد شاكر).

قوله: (ولكني مؤتمن) أي: أعمل عليها ولستُ مالكًا لها، أمينا في حفظها، فإن قيل: كيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم شرب اللبن وهو ملك لغيره أجاب السهيلي: « بأن العرب في الجاهلية كان في عرف العادة عندهم إباحة اللبن، وكانوا يتعهدون بذلك رُعاتهم، ويشترطون عليهم عند عقد إجارتهم ألَّا يمنعوا اللبن من أحد مرَّ بهم، وللحكم بالعرف في الشريعة أصول تشهد له.

١٤- أداء الأمانة يعلو بها شأن الرجال:

فقد وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم شأن أبي عبيدة رضي الله عنه، فيقول: «إنَّ لكُل أمَّة أمينًا وَإنَّ أَمينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» (رواه البخاري)

قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح»: «صورته صورة النداء؛ لكن المراد فيه الاختصاص، أي: أمتنا مخصوصين من بين الأمم، وعلى هذا فهو بالنصب على الاختصاص، ويجوز الرفع، والأمين هو الثقة الرضي، وهذه الصفة وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره لكن السياق يشعر بأن له مزيدًا في ذلك؛ لكن خص النبي صلى الله عليه وسلم كل واحد من الكبار بفضيلة ووصفه بها، فأشعر بقدر زائد فيها على غيره؛ كالحياء لعثمان، والقضاء لعلي ونحو ذلك.» اهـ.

١٥- الخازن الأمين أحد المتصدقين:

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الخازنُ المُسْلمُ الأمينُ، الذي يُنْفذُ- ورُبَّما قالَ: يُعْطي- ما أُمرَ به كاملاً مُوَفَّرًا طَيِّبًا به نَفْسُهُ، فَيَدْفَعُهُ إلى الذي أُمرَ له به أحَدُ المُتَصَدِّقَيْنِ.» (رواه البخاري).

قال ابن عثيمين رحمه الله في «شرح رياض الصالحين»: «الخازن مبتدأ، وأحد المتصدقين خبر، يعني أن الخازن الذي جمع هذه الأوصاف الأربعة: المسلم، الأمين، الذي ينفذ ما أمر به، طيبة بها نفسه.

فهو مسلم احترازًا من الكافر، فالخازن إذا كان كافرًا وإن كان أمينًا وينفذ ما أمر به ليس له أجر؛ لأن الكفار لا أجر لهم في الآخرة فيما عملوا من الخير، قال الله تعالى: « وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا » (الفرقان:٢٣)، وقال تعالى: «وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ » (البقرة: ٢١٧)، أما إذا عمل خيرًا ثم أسلم فإنه يسلم على ما أسلف من خير ويعطى أجره.

الوصف الثاني: الأمين يعني الذي أدى ما ائتمن عليه، فحفظ المال، ولم يفسده، ولم يفرط فيه، ولم يعتد فيه.

الوصف الثالث: الذي ينفذ ما أمر به يعني يفعله؛ لأن من الناس من يكون أمينًا لكنه متكاسل، فهذا أمين ومنفذ يفعل ما أمر به، فيجمع بين القوة والأمانة.

الوصف الرابع: أن تكون طيبة به نفسه، إذا نفذ وأعطى ما أمر به أعطاه وهو طيبة به نفسه، يعني لا يمن على المعطى، أو يظهر أن له فضلاً عليه بل يعطيه طيبة به نفسه، فهذا يكون أحد المتصدقين مع أنه لم يدفع من ماله فلسًا واحدًا.

مثال ذلك: رجل عنده مال، وكان- أمين صندوق للمال- مسلمًا أمينًا، ينفذ ما أمره به، ويعطيه صاحبه طيبة به نفسه، فإذا قال له صاحب الصندوق: يا فلان أعطِ هذا الفقير عشرة آلاف ريال، فأعطاه على الوصف الذي قال النبي صلي الله عليه وسلم فإنه يكون كالذي تصدق بعشرة آلاف ريال من غير أن ينقص من أجر المتصدق شيئًا، ولكنه فضل من الله عزّ وجلّ.

ففي هذا الحديث دليلٌ على فضل الأمانة، وعلى فضل التنفيذ فيما وُكل فيه وعدم التفريط فيه، ودليلٌ على أن التعاون على البر والتقوى يكتب لمن أعان مثل ما يكتب لمن فعل، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، والله الموفق». اهـ.

١٦- التاجر الأمين مع النبيين والصديقين:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التاجرُ الأمينُ الصَّدوقُ المسلمُ: مع (النَّبيِّينَ، والصِّدِّيقينَ، و) الشُّهَداءِ يومَ القيامةِ». (رواه ابن ماجه، وقال عنه الألباني: إسناده جيد).

وفى رواية: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمينُ مع النَّبيينَ والصِّديقِينَ والشُّهَداءِ». (أورده المنذري في الترغيب والترهيب، وصححه الألباني).

وللحديث بقية إن شاء الله.

عام دراسي جديد: وقفات وهمسات

إعداد جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد:

فقد انتهت الإجازة الصيفية المدرسية والجامعية، وولَّت هاربة، وبدأ العام الدراسي الجديد، ومع انتهاء تلك الإجازة، طُويت معها صفحات العمل؛ فمنا من عمل صالحًا، ومنا من أساء، ولا يظلم ربك أحدًا، لكننا نريد مع بداية العام الدراسي الجديد أن يعرف كل فرد دوره من خلال موقعه، ليقوم بدوره على الوجه اللائق، فإذا ما اكتملت المنظومة التعليمية وتكاملت، نشأ جيل يعرف مسئولياته، تنتفع به الأمة وتسعد به البلاد.

ولكي تكتمل هذه المنظومة التعليمية كان لنا مع طائفة من طوائفها هذه الوقفات:

الوقفة الأولى: مع أولياء الأمور:

١- سيقوم أولياء الأمور بدورهم الذي لا شك فيه؛ هو توفير الاحتياجات الدراسية ولوازمها لأبنائهم، وهذا واجبهم ودورهم ومسئوليتهم بلا ريب، لكن الذي ينبغي التنبيه عليه أن المسألة التربوية التعليمية ليست فقط مجرد توفير دفاتر وأقلام وملابس وأحذية، لكن الدِّين والخُلق، والعبادة والأدب هي هدف المسلم في الحياة؛ «قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الأنعام:١٦٢)، فلا بد أن يرتضع الأبناء الأدب قبل أن ينغمسوا في العلم، وتاريخ المسلمين ذاخر بتلك الفضائل والشمائل، فها هو الإمام مالك رحمه الله إمام دار الهجرة، ألبسته أمه وهو صغير أحسن الثياب، ثم قالت له: «يا بني، اذهب إلى مجالس ربيعة، واجلس في مجلسه، وخذ من أدبه قبل أن تأخذ من علمه».

والشافعي أيضًا رحمه الله يقول: «وكنت أُصَفِّح (أُقلِّب) الورق بين يدي مالك رحمه الله صفحًا دقيقًا؛ هيبةً له لئلا يسمع وَقْعها»، ثم جاء تلميذ الشافعي، وهو الربيع بن سليمان رحمه الله على التربية نفسها ليقول: «والله ما تجرأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ؛ هيبةً له».

٢- كما أن على الآباء والأمهات وسائر المربين أن يغرسوا في أولادهم أهمية الانتفاع بالعلم أدبًا وخُلقًا، وهدف تلك الآية التي فسَّرها العلماء بأنها التأديب والتعليم، كما ذكر ذلك الطبري رحمه الله، فلا بد من تربية الأولاد على الانتفاع بالعلم والتخلق بآدابه.

وها هي أم سفيان الثوري، رحمهما الله تعالى، تبذل جهدًا مضنيًا لتوفير لقمة العيش لتعليم ابنها سفيان، وتنصحه وتتفقد أحواله في علمه؛ هل ينتفع بما يتعلم كل يوم أم لا، قالت أمه له: «يا بني: اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، يا بني إذا كتبت عشرة أحاديث، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم تر فاعلم أنه يضرك ولا ينفعك» (تاريخ جرجان: ١/٤٩٢).

٣- وعلى الآباء أيضًا أن يغرسوا في أولادهم حب المعلمين واحترامهم، وتوقيرهم، ومعرفة دورهم

وفضلهم، وأن الواجب ألا تنتهك حرمة المُعلِّم ولا يُسَبّ ولا يُشتَم، ولا يُستباح عرضه إذا رُئي منه الخطأ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم» (رواه أبو يعلى عن عائشة). وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يُجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه» (صحيح الجامع عن عبادة بن الصامت).

٤- كما على الآباء ألا يُسلموا أولادهم للشوارع تسليم مفتاح؛ فإن الشوارع لا تربي جيلاً، بل تهدم أجيالاً، فالشوارع اليوم ليست كشوارع الأجيال السابقة، وهذا لا يخفى على بصير، ففي الشوارع رفقاء السوء الذين ينحرفون بشبابنا إلى الرذائل والضلال، وحتى لا يواجه الآباء انحراف أولادهم، وحتى لا يقعوا فيما حذر الله تعالى منه حين قال: « وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا » (الفرقان:٢٧-٢٩)، فلا تتركوا الأولاد فريسة لضياع الوقت فيما لا يفيد، ولا بد أن يراقب المربي أولاده، أين يذهبون؟ ومن يصاحبون؟ وكيف تذهب أوقاتهم؟ والطامة الكبرى إذا كان الآباء أنفسهم غير مهتمين بكل هذا، فالخطر قادم لا محالة، ولا بد من سؤال الأبناء؛ هل أدوا فرض ربهم، هل حافظوا على أخلاقهم مع غيرهم، والله تعالى سائل كل راعٍ عما استرعاه، فليعدّ للسؤال جوابًا.

وعلى المربين زيارة أولادهم بين الحين والآخر في مدارسهم، وسؤال معلميهم عنهم، وتشجيع المدرّس الذي يبذل مجهودًا مخلصًا مع أبنائهم؛ فلا بد من التكامل بين البيت والمدرسة والمسجد.

الوقفة الثانية: مسؤولية المدرسين:

أيها المدرس والمعلم والمدير والموجِّه؛ مهمتكم مهمة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، وقد قال الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» (الجمعة:٢)، وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خير معلم؛ حتى إن أصحابه قالوا عنه: «ما رأينا معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه». فليكن هو صلى الله عليه وسلم قدوتكم، فاتبعوه لعلكم تهتدون، ثم كونوا أنتم قدوة لتلاميذكم، وحافظوا على هيبتكم أمامهم، لا تتساهلوا في شتمهم أو السخرية من المقصّر منهم، فإن أمامكم تلاميذ يلتقطون كل ما يبدو منكم من خير أو شر، ومن الجرائم أن يشرب المدرس السيجارة أمام طلابه؛ لأنه بذلك يعطي درسًا عمليًّا في ارتكاب هذه المعصية، فضلاً عن التساهل بها والتعود عليها وعدم إنكارها.

واعلم أيها المدرس: أن أيّ سلوك يتعلمه منك تلاميذك فستجازى عليه من رب العباد، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقصَ من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيءٌ».

أيها المعلم: راقب الله في الوقت الذي تقضيه مع طلابك منذ دخولك حجرة الدراسة إلى خروجك منها أدبًا وتعليمًا ونصحًا وإصلاحًا، وتربيةً واقتداءً، ولا تهمل درسهم معتمدًا على أنهم سيتلقون المعلومات كاملة في حصة الدروس الخصوصية، فإن الدولة قد حدّدت لك راتبًا مقابل تعليمهم، فأخلص لله في عملك يُبارك لك في رزقك وأهلك وأولادك، وستُسأل يوم القيامة عن مالك من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟

أيها المدرس: لا تكن مجرد مدرس حصة، ومؤدي وظيفة، وإنما كن مُربيًّا جيدًا، واعلم أن الله تعالى قال: « إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ » (يس:١٢)، فليكن أثرك في طلابك محمودًا.

أيها المربي المعلم والمدرس: هؤلاء الأبناء أمانة في عنقك، ستأتي يوم القيامة مغلولة يداك إلى عنقك لا يفك القيد عنك إلا عدلك فيهم، ونصحهم وتربيتهم، فهم يقضون معك وقتًا أكثر مما يقضونه مع أهليهم، فعلِّمهم المحافظة على وقت الصلاة، وكما جعلت لك حصصًا للدروس محددة بأوقات فاعلم أن الله تعالى من قبلك قد حدد مواعيد ومواقيت وحصصًا لأداء الصلاة، فلا تؤجل وتهمل مواعيد الصلاة من أجل مواعيدك أنت؛ لأنك بذلك معتد على حق الله تعالى، وقدوة سيئة لطلابك بخصوص الفريضة الربانية، خالط الأولاد بالبشاشة والرفق، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: « إن كان النبيُ صلى الله عليه وسلم

لَيُخالطُنا، حتى يقولَ لأخٍ لي صغيرٍ: يا أبا عُمَيرُ! ما فعل النُّغَيرُ». (صحيح الأدب المفرد).

والمخالطة هنا للتربية والتعلم وتأسيس جيل، كافئ المجتهد منهم وشجِّعه وحلِّ مشاكلهم الخاصة، والعامة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فإن فيهم الفقير والضعيف وذا الحاجة.

واعلم أيها المدرس: ما قاله سيد البشر صلى الله عليه وسلم: «من كانت الدنيا همه؛ فرَّق الله شمله، وجعل فقره بين عينيه، ومن كانت الآخرة همَّه؛ جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة». (رواه الترمذي).

الوقفة الثالثة: إلى أبنائنا الطلاب:

إذا كنتم سمعتم حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». (البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه).

إذن كيف أيها الطالب عرفت أن العمل مرتبط بالنية، بمعنى أن تعبك في الدنيا وخروجك ودخولك إن كنت تريد عليه أجرًا عند الله وذخرًا؛ فاقصد بهذا العمل وجه الله، والبعد عن النار ودخول الجنة، أما إن ظلت حياتك جهدًا ضائعًا بلا نية حسنة، أو كانت النية غير صالحة، فهو عمر ضائع، ونصر للشيطان رائع، ومن انتصر عليه الشيطان وأضاع عليه عمره ونيته، فانظر كيف يكون مصيره عند الله تعالى، فابتغ أيها الطالب بتعليمك نفع نفسك بعمل حلال شريف، ونفع المسلمين بخدمة جليلة فيما يلقونه عليك من تكليف، وإن قصدت الحصول على عمل تنفق منه على نفسك وأسرتك فنية صالحة، وهكذا.

أيها الطالب والتلميذ: اعلم أن أبويك قد ذاقا الأمَرَّيْن وحرَما أنفسهما من أجل توفير القلم والدفتر، والملابس وغير ذلك، فكن بارًّا بهما في الالتزام بدروسك والاجتهاد فيها؛ لكي لا تخيِّب فيك رجاءهما، وتضيِّع مجهودهما، وتورثهما ألمًا وحسرة، فإذا بلغت سن السعي على المعاش فعاونهما بعمل حلال كما ربياك صغيرًا، ولا تعتبر نقودك من هذا العمل حكرًا عليك تريد أن تشتري بها ما لذَّ وطاب، من موضات الملابس والثياب، فأنت ومالك لأبيك، فتواضع ولا تكن جبارًا ظالمًا.

لا تعتبر -أيها الطالب- نصح أبيك وأمك لك بعدم مخالطة فلان أو فلان، أو عدم السهر خارج البيت لوقت متأخر؛ أن ذلك جمود وتخلف عند والديك، فإن أعلم النَّاس بأبنائهم هم الآباء، فإياك والكبر والعناد، وسماع رفقاء السوء، فإن رفيق السوء سبيل إلى النار، « وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا » (الفرقان:٢٧).

وفي مقام والديك معلموك؛ فلهم حق عليك كبير، فأعط كل ذي حق حقه، وقد قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يُجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه». (صحيح الجامع).

ألا فتجنبوا الاختلاط، فلا ينبغي للشباب من الذكور مخالطة البنات في دور العلم أو الطرقات، كما ينبغي غض البصر أثناء السير في الطريق وعدم إطلاق البصر، واعتبر أن التي تنظر إليها بنتك أو أختك أو أمك أو إحدى محارمك، فهل تقبل أن ينظر إليك الناس بأعينهم نظرة طمع وشهوة؟ والله تعالى يقول في كتابه: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ » (النور: ٣٠- ٣١).

ألا بئس التعليم إذا خرجت البنت متعطرة متزينة تجسِّد جسمها كأنها عارية، ينظر إليها الشباب وتنظر إليهم، والمرأة عورة إذا خرجت استشرفها الشيطان، كما لا تسرف الطالبة والطالب في تضييع الوقت لعبًا بأجهزة الاتصال التي امتلأت وتمتلئ يومًا بعد يوم بالفتنة والعري والفحش والرذيلة، وعلى الآباء ألا يسهّلوا لأبنائهم هذا الأمر، وإن كان ولا بد فجهاز الاتصال فقط يطمئنون بواسطته على دخول أولادهم وخروجهم.

رابعًا مسئولية الدولة:

على كل مسؤول بالدولة مسؤولية متصلة بالتعلم والتربية مساعدة الناس في تربية أولادهم والحفاظ على الشباب من الاختلاط والرحلات المختلطة بالنوادي والعمل.

وفق الله الجميع.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٣٢)

قصة فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السماء

إعداد: علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- اشتهار هذه القصة لوجودها في بعض كتب السنة الأصلية، واغتر بذلك القُصاص والوعاظ حتى ظنوا أن هذه القصة من مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لعدم درايتهم بالعلة التي في الخبر الذي جاءت به هذه القصة.

٢- ومن الأسباب أيضًا أن كثيرًا ممن لا دراية لهم بهذا العلم يتوهمون من تعدد المصادر الأصلية التي توجد بها هذه القصة أنها صحيحة، ولا يفرقون بين التخريج والتحقيق.

٣- وإن تعجب فعجب أن تُترك أحاديث في فضائل عمر بن الخطاب في أعلى مراتب الصحة، ويلجأ هؤلاء القصاص إلى الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم حول فضائل الصحابة رضي الله عنهم يستميلون بها العوام ومن لا دراية له. ولا أدري أهذا منهجهم أم غاب عنهم الوعيد الشديد الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح١٠٩) من حديث سلمة بن الأكوع قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَن يقلْ عليَّ ما لم أقل، فليتبوأ مقعده من النار».

٤- ومن الأسباب التي تحتم علينا بيان حقيقة هذه القصص الواهية والتحذير منها، أن هذه القصص، انتشرت في بعض كتب السيرة المشهورة.

وهناك قصص مفتراة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي قصة الخروج في عمر رضي الله عنه، والتي أوردها الشيخ المباركفوري في كتابه «الرحيق المختوم» (ص١٠٦)، وفيها يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فأخرجنا النبي صلى الله عليه وسلم في صفين حمزة في أحدهما وأنا في الآخر له كديد ككديد الطحين...».

ويستدل بها الكثير في الخروج على الحكام، ولقد خرجناها وحققناها وبينا ضعفها منذ أكثر من ستة عشر عامًا في مجلة التوحيد عدد ربيع الأول ١٤٢٥هـ، ولقد حذرنا من الآثار السيئة لهذه المظاهرات قبل وقوع فتنها بسنين وبينا طريق إصلاح الأمة بمنهج أهل السنة وحذرنا من الأحاديث الموضوعة والقصص المكذوبة وأثرها السيئ في الأمة.

وهذه بعض الأسباب التي من أجلها نخرج هذه القصة.

ثانيًا: المتن:

رُوِيَ عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عَمَّارُ، أتاني جبريلُ آنفًا فقلتُ: يا جبريلُ حدَّثني بفضائلِ عمرَ في السَّماءِ؟ فقالَ: يا محمَّدُ لو حدَّثتُكَ بفضائلِ عمرَ في السَّماءِ مثلَ ما لبثَ نوحٌ في قومِه ألفَ سنة إلا خمسينَ عامًا ما نفدَتْ فضائلُ عمرَ، وإنَّ عمرَ لحسَنةٌ من حسَناتِ أبي بَكرٍ».

ثالثًا: التخريج:

١- أخرجه الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي أبو علي البغدادي المتوفى سنة (٢٥٧هـ) في «جزئه» من (ص٦٠) (ح٣٥) قال: حدثني الوليد بن فضل العنزي، حدثنا إسماعيل بن عبيد العجلي عن حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عمار، أتاني جبريل آنفًا...» القصة.

٢- وأخرجه الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي المتوفى (٣٠٧هـ) في «مسنده» (١٧٩/٣) ح(١٦٠٣) قال: «حدثنا الحسن بن عرفة به...».

٣- وأخرجه الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الآلكائي المتوفى سنة (٤١٨هـ) في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: «حدثنا الحسن بن عرفة به...».

٤- وأخرجه الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري المتوفى سنة (٣٦٠هـ) في كتابه «الشريعة» ح(١٣٩٣) قال: «حدثنا عمر بن أيوب السقطي، قال: حدثنا الحسن بن عرفة به...».

٥- وأخرجه الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني في «الكامل» (٧٩/٧) (٢٠٠١/١٢) قال: «أخبرنا

أبو يعلى، حدثنا الحسن بن عرفة به». وقال: حدثنا عبد الله بن محمد بن سلم، حدثنا الحسن بن إبراهيم البياضي عن الوليد بن الفضل العنزي به.

٦- وأخرجه الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى (٥٩٧هـ) في «الموضوعات» (٣٢١/١) قال: أنبأنا علي بن عبد الله، قال: أنبأنا علي بن أحمد البسري، قال: أنبأنا أبو عبد الله بن بطة، قال: أنبأنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، قال: حدثنا الحسن بن عرفة به...».

٧- وأخرجه الإمام ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٩٤/١) (ح٣٠٣) قال: أنبأنا علي بن عبيد الله، قال: أخبرنا علي بن أحمد البندار، قال: أنبأنا أبو عبد الله بن بطة به.

٨- وأخرجه أبو بكر محمد بن هارون الروياني المتوفى سنة (٣٠٧هـ) في كتابه «مسند الروياني» (٣٦٧/٢) (ح١٣٤٢) قال: «حدثنا الحسن بن إبراهيم البياضي، حدثنا الوليد بن الفضل العنزي به».

٩- وأخرجه الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة (٣٦٠هـ) في «المعجم الأوسط» (٣٤٢/٢) (ح١٥٩٣) قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا الوليد بن الفضل العنزي به.

رابعًا: التحقيق:

١- مما أوردنا آنفًا من التخريج يتبين من طرق الخبر الذي جاءت به هذه القصة أن الخبر غريب الإسناد تفرد بروايته علقمة عن عمار بن ياسر، وهو غريب عن علقمة تفرد به عنه إبراهيم، وهو غريب عن إبراهيم، تفرد به عنه حماد، وهو غريب عن حماد، تفرد به عنه: إسماعيل بن عُبيد بن نافع العجلي، وهو غريب عن إسماعيل تفرد به عنه الوليد بن الفضل العنزي.

وهذا ما بينه الإمام الحافظ الطبراني في «الأوسط» عقب هذا الحديث: «لم يَرْو هذا الحديث عن حماد إلا إسماعيل، تفرد به الوليد».

نستنتج من قول الإمام الحافظ أن الوليد بن الفضل العنزي ليس له متابعة تامة ولا قاصرة، وبهذا تركزت العلة في الوليد بن الفضل العنزي.

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٨٢/٣): «الوليد بن الفضل العنزي شيخ يروي المناكير التي لا يشك من تبحر في هذه الصناعة أنها موضوعة لا يجوز الاحتجاج به بحال».

٣- وأقره الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٣٩٤/٣٤٣/٤) فقال: «الوليد بن الفضل العنزي روى عنه الحسن بن عرفة، قال ابن حبان يروي الموضوعات، لا يجوز الاحتجاج به بحال، ثم قال الإمام الذهبي: «الوليد بن الفضل هو الذي حديثه في جزء ابن عرفة عن إسماعيل بن عبيد- أن عمر حسنة من حسنات أبي بكر- وإسماعيل هالك، والخبر باطل».

٤- وهذه علة أخرى في السند بينها الإمام

الذهبي؛ وهو إسماعيل بن عُبيد بن نافع العجلي قال الإمام الذهبي: «إسماعيل هالك». اهـ.

ولذلك قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/ ٢٣٨/ ٩١٣): «إسماعيل بن عبيد بصري، ضعفه الأزدي له عن حماد بن أبي سليمان في فضل عمر، والحديث في جزء ابن عرفة، وهو باطل رواه ابن عرفة عن الوليد بن الفضل عنه». اهـ.

قلتُ: ولقد بيناه في أول طريق في التخريج.

٥- قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٣٢١) عقب هذا الحديث: «قال أحمد بن حنبل: هذا حديث موضوع ولا أعرف إسماعيل، وقال أبو الفتح الأزدي: هو ضعيف».

٦- وأورد الحافظ الهيثمي الخبر الذي جاءت به هذه القصة في «مجمع الزوائد» (٩/٦٨) وقال: «رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط وفيه الوليد بن الفضل وهو ضعيف جدًا». اهـ.

٧- وأورد الخبر الذي جاءت به هذه القصة الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص٣٣٧) وقال: «رواه الحسن بن عرفة عن عمار مرفوعًا، قال أحمد بن حنبل: إنه موضوع». اهـ.

٨- وأورد الخبر ابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (١/٣٤٦) وقال: «أخرجه الدارقطني في غرائب مالك من طريق حسان بن غالب وقال: موضوع».

خامسًا: الاستنتاج:

نستنتج مما أوردناه آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة باطل موضوع، قال الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» (١/٢٤٧)، النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

سادسًا: طريق آخر:

وهذا طريق آخر يزيد القصة وهنًا على وهن أخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٣٢١) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا بزيادة في المتن قال فيها جبريل مخاطبًا النبي صلى الله عليه وسلم: «ليبكين الإسلام بعد موتك يا محمد على عمر».

قال الإمام ابن الجوزي: «وهذا غير صحيح. قال يحيى بن معين عبد الله بن عامر ليس بشيء، وقال ابن حبان: كان يقلب الأسانيد والمتون». اهـ.

وهو علة هذا الطريق، قال الذهبي في «الميزان» (٢/٤٤٨/٤W٣٩٤): «عبد الله بن عامر ضعفه أحمد والنسائي والدارقطني، وقال الذهبي: ليس بشيء، وقال البخاري: يتكلمون في حفظه. وسئل عنه ابن المديني فقال: ذاك عندنا ضعيف ضعيف». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

تابع: رد أئمة السنة على شبهات الأشاعرة في نفيهم صفة (الكلام) ودحضهم ما اعتقدوه حيال هذه الصفة

الحلقة (٦٠)

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

ففي دعوى الأشاعرة (أن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه، وأن ما في التنزيل عبارة عنه)، نستكمل ما قاله ابن أبي العز في ردِّ ما ادعوه وفاهوا به.. حيث يقول -رحمه الله- في شرحه الطحاوية ص١١٤:

«لا شك أن الرسل الذين خاطبوا الناس وأخبروهم أن الله (نادى) و(ناجى) و(يقول).. «أفهموهم أن الله نفسَه الذي تكلّم، وأن الكلام قائم به لا بغيره، وأنه هو الذي تكلم به وقاله، كما قالت عائشة -رضي الله عنها- في حديث الإفك: (وَلَشأني في نفسي كان أحقر من أن يَتكلم الله فيَّ بوحي يُتلى)، ولو كان المراد من ذلك كله خلاف مفهومه لوجب بيانه، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بإجماع، ولا يُعرف في لغة ولا عقل: قائلٌ متكلم لا يقوم به القول والكلام، حتى وإن زعموا أنهم فرّوا من ذلك حذرًا من التشبيه، فإنهم إذا قالوا: يعلم لا كعلمنا، قلنا: ويتكلم لا كتكلمنا، وكذلك سائر الصفات.. وهل يُعقل قادرٌ لا تقوم به القدرة، أو حيٌّ لا تقوم به الحياة».

ويقول -رحمه الله- في ردِّ مَن زعم «من متأخري الحنفية أن كلام الله معنى واحد، والتعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض حاصل في الدلالات، وأن هذه العبارات مخلوقة وسميت (كلام الله) لدلالتها عليه وتأدِّيه بها، فإذا عبر بالعربية فهو قرآن وإن عبر بالعبرية

فهو توراة، فاختلفت العبارات لا الكلام، وتسمى هذه العبارات كلام الله مجازًا:.. هذا كلام فاسد، فإن لازمه: أن معنى قوله: (وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ) (الإسراء/ ٣٢)، هو معنى قوله: (وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ) (البقرة/ ٤٣)، ومعنى (آية الكرسي) هو معنى (آية الدين)، ومعنى (سورة الإخلاص) هو معنى (سورة المسد).. والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله لا يتناهى، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك على ما أفادته آيتا الكهف/ ١٠٩ ولقمان/ ٢٧ الآتي ذكرهما، ولو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله، لما حُرِّم على الجنب والمحدِث مسه».

وإنما أُتِيَ متأخرو الأشاعرة من عدم وقوفهم على ما تحمله الألفاظ من دقيق المعاني «فإذا قيل مثلاً: (في المصحف خط فلان وكتابته) فُهم منه معنى صحيح حقيقي، ومن قال: (فيه مِداد قد كُتب به) فُهم منه معنى صحيح حقيقي، وهذان المعنيان مغايران لمعنى قول القائل: (فيه كلام الله)، ومن لم يتنبه للفروق بين هذه المعاني ضل ولم يهتد للصواب.. وكذا من قال: (إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله)، قد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالاً». اهـ من شرح الطحاوية ص١١٦ وما بعدها بتصرف.

هذا، «ومما يدل على أن القرآن كلام الله وقد نزل بلغة العرب، وأن التوراة نزلت بالعبرانية والإنجيل نزل بالسريانية وهما كلامُه، خلاف ما قالت الأشاعرة - من أن كلام الله معنى قائم بالنفس وهو معنى واحد -: أن كل رسول بُعث بلسان قومه وقد أخبر القرآن بذلك، فرسول الله صلى الله عليه وسلم عبَّر كلام الله بالعربية، وموسى عليه السلام عبّر كلام الله بالعبرانية، وعيسى عليه السلام عبّر كلام الله بالسريانية، ولا يصلح إلا أن يكون الأمر كذلك، قال تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) (إبراهيم/ ٤) أي: بلغة قومه، وقال: (وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ) (الشعراء/ ١٩٨، ١٩٩)، وقال: (وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ) (فصلت/ ٤٤)، وقال: (لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ) (النحل/ ١٠٣)، وقال: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا) (الشورى/ ٧)، وقال: (إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا) (الزخرف/ ٣)، وقال: (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا) (يوسف/ ٢)، وقال: (كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) (فصلت/ ٣)، وقال: (وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ) (طه/ ١١٣)، وقال: (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الزمر/ ٢٨)، وقال: (وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا) (الأحقاف/ ١٢)، وقال: (لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ) (الشعراء/ ١٩٤، ١٩٥)، وقال: (وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًا) (الرعد/٣٧)»، كذا في (الحجة) للأصبهاني ١/٣٥٢.

٣- دحض أئمة السنة لمعتقد الأشاعرة في نفيهم أن يتكلم الله على الحقيقة بمشيته واختياره

أما نَفْيُ الأشاعرة أن تكون صفة كلامه تعالى صفة فعل، ونَفْيُ أن يكون سبحانه بموجبها يتكلم بمشيئته واختياره،

لشبهة: حلول الحوادث وقيامها به سبحانه، وزعمهم أن من لوازم إثبات صفة الكلام: (التعاقب والتجزؤ) وهي حوادث لا تقوم بالله وإلا كان حادثًا، وكذا ادعاؤهم بأن تكلمه سبحانه في المستقبل هو إثبات لقيام الحوادث به لما يعتور ذلك من تجدد وتعدد، وهي نفس الشبهة التي نفوا بها قيام الصفات الاختيارية به تعالى.

فالجواب عنه من غير ما سبق أن أفضنا فيه: أن كونَه متكلمًا بمشيئته، من لوازم ذاته المقدسة؛ وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه، ليس متَّحدًا بهم ولا حالاً فيهم.. كما أننا لا نَسلم أن يكون التعاقب والتجزؤ وسائر ما ذكروه من لوازم الكلام: حادث كحدوث المخلوق، إذ هذا الكلام مبني على (قياس الشمول) الذي لا يجوز أن يُستدل به في العلم الإلهي، لأن هذا القياس يَدخُل فيه الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوي أفرادها وهذا لا يجوز، كما لا يجوز فيه (قياس التمثيل) الذي يستوي فيه الأصل والفرع، «فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يُمَثَّل بغيره.. ولكن يستعمل في ذلك (قياس الأولى) كما دل عليه قوله تعالى: (وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ) (النحل/ ٦٠)، مثل:

أن يُعلم أن كل كمال للممكن أو للمحدَث لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالواجب القديم أولى به، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق المربوب المدبِّر، فإنما استفاده من خالقه وربِّه ومدَبِّره، فهو أحق به منه، وأن كل نقص وعيب في نفسه إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات، فإنه يجب نفيه عن الرب بطريق الأولى»، ثم إن «نفي مشابهة شيء من مخلوقاته له تعالى، مستلزمٌ لنفي مشابهته هو لشيء من مخلوقاته، ولذا اكتفى الطحاوي - رحمه الله - بقوله: (ولا يشبه الأنام)»ا.هـ بتصرف من شرح الطحاوية ص٥٢، ٥٣.

كذا بما يعني: أن ثبوت التعاقب - وغيره من لوازم ما نفاه الأشاعرة لنفي الكلام اللفظي بحقه تعالى - هو بحق كلام الله تعالى على الوجه اللائق به، وأنه لا يعني بحال ثبوت المساواة بين الخالق والمخلوق، يقول السجزي في (رسالته إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت) ص٢٥٧، ٢٥٨: «اتفقت العلماء على أن الله يتولى الحساب بين خلقه يوم القيامة في حالة واحدة، وعند كل واحد منهم أن المخاطب في الحال هو وحده، وهذا خلاف التعاقب.. ثم لو ثبت التعاقب لم يضرنا لقوله عليه السلام لمَّا خرَج من باب الصفا: (نبدأ بما بدأ الله به، ثم قرأ: «إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ» البقرة/ ١٥٨»)، فبين أن الله بدأ بذكر الصفا، والقرآن كله بإجماع المسلمين كلام الله سبحانه، وفي هذا القدر كفاية لمن وُفق للصواب»، وكان السجزي قد نص على أن «الكلام لا يكون إلا حرفًا وصوتًا ذا تأليف واتساق»ا.هـ.

وقد سبق أن ذكرنا لابن أبي العز قوله - في شرح ما جاء في الطحاوية من عبارة: (إنه تعالى ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، وكما كان بصفاته أزليًا، كذلك لا يزال عليها أبديًا)-: «إن الله لم يزل

متصفًا بصفات الكمال -التي (الكلام) واحدة منها- ولا يجوز أن يُعتقد أنه وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها، لأن صفاته صفات كمال وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده»، وأنه «لا يَـرِدُ على هـذا: صفات الفعل والصفات الاختيارية، وأن أصل معنى ما وصف الله نفسه معلومٌ لنا»، وأن الحدوث بالاعتبار الذي وضعه الأشاعرة «غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلمًا بالأمس لا يقال: (إنه حدث له الكلام)، ولو كان غير متكلم لآفة كالصغر والخرس ثم تكلم يقال: (حدث له الكلام)؟، فالساكت لغير آفة يسمى: (متكلمًا بالقوّة)، بمعنى: أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمى: (متكلمًا بالفعل)».. مما يؤكد أن أفعاله تعالى قديمة النوع حادثة الآحاد، فهو جل في علاه متكلم قبل أن يَصْدرَ منه الكلام، وخالق قبل أن يصدر منه الخلق، وكما أن ليس لذاته بداية ليس لصفاته بداية، وكما أنه موصوف بصفاته أزليًا بلا بداية، كذلك صفاته تلازمه دائمًا وأبدًا، ولا يقال: إن صفاته تنقطع عنه في المستقبل، بل هي تابعة له أزلاً وأبدًا.

وهذا ما يعنيه صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه مسلم من حديث أبي هريرة: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء)، وما يعنيه قول أئمة السنة: (قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء)، كما يعنيه اسمه تعالى: (الأول والآخر)، والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطر، فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعًا للتسلسل، فأنت تشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن، وحوادث الجوّ كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة فإن الممتنع لا يوجَد، ولا واجبة الوجود بنفسها فإن واجب الوجود بنفسه لا يَقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وُجدت، فعدمها ينفي وجودها ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلاً للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور/ ٣٥)، أي: أحْدَثوا من غير مُحدث أم هم أحدثوا أنفسهم؟!، ومعلوم أن الشيء المحدَث لا يوجد نفسه، فالممكن الذي ليس له من نفسه وجودٌ ولا عدم لا يكون موجودًا بنفسه، بل إن حصل ما يُوجِدُه وإلا كان معدومًا، وكل ما أمكن وجوده بدلاً من عدمه وعدمه بدلاً من وجوده، فليس له من نفسه وجودٌ ولا عدم لازم له.. وهذا واضح في تفسير معنى حدوث الآحاد.

ولأن (الكلام) صفة قديمة لازمة له سبحانه، فليس له بداية ولا نهاية كما أنه ليس لذاته تعالى بداية ولا نهاية، وقد أوضح سبحانه ذلك في كتابه فذكر أن كلامه لا ينفد فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف/ ١٠٩)، (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) (لقمان/ ٢٧)، وعليه فمن قال: إن كلام الله مخلوق فقد استحق من الله السخط والمقت.

والحمد لله رب العالمين.

من الأحداث الهامة في تاريخ الأمة

استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. الطعنة الآثمة

(٢)

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكورًا، والصلاة والسلام على إمام الشاكرين وسيد الذاكرين ورحمة الله للخلق أجمعين؛ سيدنا محمد النبي الأمين الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وإخوانه النبيين والمرسلين، وبعدُ؛

إعداد عبد الرزاق السيد عيد

فهذا لقاؤنا الثاني مع قضية استشهاد عمر رضي الله عنه، وما ترتب عليها من آثار سيئة، فقد انكسر باب كان مغلقًا، واندفعت منه فتن متتالية ما زالت تفتُّ في عضد الأمة حتى يومنا هذا، وذلك أن الطعنة لم تكن موجَّهة إلى عمر كشخص، لكنها كانت موجهة إلى عمر رأس الدولة الإسلامية، ورمز عزتها ووحدتها وقوتها بإذن الله، فقد استجاب الله تعالى دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم حين قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك أبي جهل، أو بعمر بن الخطاب، فكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب». أخرجه الترمذي، وأحمد، وصححه أحمد شاكر.

فلم تكن الطعنة الآثمة التي وُجهت إلى عمر رضي الله عنه بسبب ثأر شخصي أو مجرد تهوُّر من شخص موتور، لا، بل كانت بتدبير وكيد مُسبق ومخطط له يُرَاد به دولة الإسلام في عنفوانها وقوتها، والإمام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «منهاج السنة» يلخص لنا الهدف فيقول: «وأبو لؤلؤة كافر باتفاق أهل العلم كان مجوسيًّا من عُبّاد النيران، فقتل عمر رضي الله عنه بغضًا في الإسلام وأهله وحبًّا للمجوس وللكفار، وانتقامًا مما فعله عمر بهم حين فتح بلادهم، وقتل رؤساءهم، وقسم أموالهم». اهـ.

وهذا تلخيص مفيد من الإمام رحمه الله، فالخنجر الذي طُعِنَ به عمر رضي الله عنه هو الخنجر الذي طُعِنَ به ثلاثة عشر صحابيًّا في نفس الوقت قبل أن يُحاط بالقاتل، استُشهد منهم ستة، والخنجر الذي قتل عمر هو السيف الذي قتل عثمان رضي الله عنه، وهو السيف الذي قتل عليًّا رضي الله عنه، وحاول قتل معاوية رضي الله عنه وعمرو بن العاص رضي الله عنه، وهو سيوف الفتنة التي قتلت آلاف الصحابة الكرام فيما وقع بين معاوية وعلي، رضي الله عنهم جميعًا.

وإن العقول التي فكرت وخططت ودبرت هي العقول التي تكيد للإسلام والمسلمين حتى اليوم، والأيدي التي نفذت وقتلت هي كذلك الأيدي التي تقتل المسلمين في مشارق الأرض

ومغاربها، وستظل تقتل وتدمر إلى أن يشاء الله أمرًا في علمه، ويقع بقدرته في الوقت الذي يشاء فيه نصرة دينه، وإنه لناصره كما وعد، ووعده لا يتخلف، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وهذا الذي نُقرره ليس رجمًا بالغيب، أو رميًا بالقول دون دليل أو شاهد، بل هي حقيقةٌ واقعة بادية للعيان، وهي في زمننا هذا أوضح ما تكون لا يغفل عنها إلا جاهل، ولا يتغافل عنها إلا منافق أو عدوّ.

وسنحاول بعون الله في الأسطر التالية توضيح الأمر بما يفتح الله لنا حتى لا يبقى لأحد عذر، والله المستعان:

أولاً: خيوط المؤامرة في مقتل عمر رضي الله عنه:

جاء في تاريخ الذهبي ٢٩٦/٣: عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر- ولم نجرب عليه كذبة قط- قال: انتهيت إلى الهرمزان وجفينة وأبي لؤلؤة وهم نجس فتبعتهم، وسقط بينهم خنجر له رأسان نَصْلُه في وسطه. قال عبد الرحمن: فانظروا بم قُتل عمر، فنظروا فوجدوه على تلك الصفة». اهـ.

ووردت هذه القصة في الكامل لابن الأثير، والإصابة لابن حجر، والطبقات لابن سعد وغيرهم، مع اختلاف في بعض الألفاظ والمضمون واحد، وهو أن خيوط المؤامرة كانت بين هؤلاء الثلاثة: الهرمزان الذي فقد ملكه ورياسته واعتنق الإسلام ليحقن دمه وجُفينة النصراني الأسير الذي أرسله سعد بن أبي وقاص ليعلِّم أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وقد نفذ القتل أبو لؤلؤة المجوسي، وهؤلاء جميعًا امتلأت قلوبهم حقدًا على الإسلام القوي الذي انتشر في عهد عمر رضي الله عنه وقوّض مُلك الفرس نهائيًّا، وأزاح سلطان الروم عن الشام ومصر، ولا نستبعد يد اليهود التي دبرت معهم في الخفاء حينئذ، واليهود كانوا يحبون العمل في الخفاء، لكنهم اليوم صاروا لا يبالون.

ثانيًا: الواقع يشهد:

التاريخ يشهد والواقع قديمًا وحديثًا يشهد بحقيقة المؤامرة على الإسلام والمسلمين، على الإسلام الذي يمثله رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذين آمنوا معه من أهل السنة بالتحديد، وإليكم الأدلة:

١- فأبو لؤلؤة المجرم الكافر قاتل عمر هو عند الشيعة الاثنى عشرية في إيران من المتقين الأبرار، وله قبر في (كاشان) بإيران يتوافد عليه الزوار من كافة الأقطار، ويحتفلون باليوم الذي قتل فيه عمر ويعظّمون قاتله، وهو اليوم التاسع من ربيع الأول من كل عام، فقد حرَّف القوم كل شيء حتى اليوم الذي قُتل فيه عمر رضي الله عنه، وكما ذكرنا آنفًا وهو يوم السادس والعشرين من ذي الحجة عام ٢٣هـ بعد عودة عمر رضي الله عنه من الحج.

وهذا الذي ذكرته لحضراتكم مدون في مراجعهم الموثقة، ويشهد به الواقع، فما زال قبر القاتل هناك ومكتوب على جدارنه عبارات القدح والذم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة أبا بكر وعمر، رضي الله عنهما.

وإليكم بعض الأدلة من كتب القوم:

١- أبو لؤلؤة القاتل يلقبونه بـ: «بابا شجاع الدين» (من كتاب الكنى والألقاب لعباس القمي)، ويرون أنه قدَّم أعظم خدمة لآل البيت بقتل عمر.

٢- ويوم مقتل عمر يُوصف عندهم بأنه خير الأعياد كما ينسب الجزائري إلى علي ابن أبي طالب رضي الله، وأنه سمى هذا اليوم بأسماء كثيرة منها: أنه يوم الهدي، ويوم البركة، ويوم العيد الأكبر، ويوم فرح الشيعة، ويوم النظر الثاني، ويوم الغدير، ويوم عيد أهل البيت، ويوم قتل المنافقين. ينظر: «فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب»- ط لندن ١٤١٧هـ، وكتاب «الأنوار النعمانية»، فصل (نور سماوي) (١٠٨/١).

٣- الحقيقة التي يجب أن تكون واضحة

أمام الجميع:

الحقيقة التي يجب أن تستقر في القلوب والعقول هي أن إيران بعد دخولها في الإسلام كانت منارة للإسلام، ونبغ فيها علماء كُثُر في شتى أنواع العلوم الإسلامية في الفقه والحديث واللغة وغيرها، وظلت عشرة قرون على الإسلام الحق على ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام حتى جاءت الدولة الصفوية فغيَّرت دين أهل إيران وفرضت عليهم عقيدة الشيعة الاثني عشرية فرضًا، واستخدمت أبشع الوسائل في ذلك والتي يضيقُ المجال هنا عن ذكر بعضها، لكن الذي يجب أن نعلمه جيدًا هو أن الدولة الصفوية في إيران صنعها الغربُ المتمثل في بريطانيا وفرنسا ومن دار في فلكهم بغرض طَعن الدولة العثمانية السنية من الخلف، ولوقف تقدمها في نشر الإسلام في أوروبا، وكان لهم ما أرادوا وصارت الدولة الصفوية وبالاً على أهل السنة وعرقلت توسع الدول العثمانية، وظلت الدولة الصفوية تحكم بلاد فارس بالحديد والنار مع أهل السنة والجماعة، بينما تقرَّب علماء الشيعة وتغدق عليهم العطايا لأكثر من قرنين من الزمان، ثم توالت على بلاد فارس دول متتالية، ثم جاءت أسرة بهلوي وكان آخرهم الشاه محمد رضا بهلوي، وقد هدأت حدة التعصب الديني في زمنه نوعًا ما، وهو الذي سمى بلاد فارس (إيران)، ثم جاءت الدولة الصفوية الثانية بظهور ما يسمى بالجمهورية الإسلامية الإيرانية سنة ١٩٧٩م، والتي انخدع بها خلقٌ كثير.

ثالثا: الدولة الصفوية الثانية:

وأعني بالدولة الصفوية الثانية الجمهورية الإسلامية، أو حكومة الآيات والعمائم السوداء التي أسسها الخميني سنة ١٩٧٩م، وإذا كانت الدولة الأولى أقامها الغرب، فكذلك انطلق الخميني في ثورته على الشاه محمد رضا من فرنسا ودعمه الغرب وانقلبت أمريكا على الشاه لتمكين الغرب للدولة الصفوية الجديدة التي لبست عباءة الشيطان، فالعقيدة هي العداوة للإسلام ونشر البدع والخرافات وبثّ سموم الفرقة والتوسع على حساب الإسلام السُّني هنا وهناك، وبُغض أهل السنة وسبّ الصحابة وخصوصًا أبي بكر وعمر وعائشة، رضي الله عنهم، بل وتجرؤوا على الله سبحانه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وإليك الدليل من مصادر القوم الموثقة عندهم من الصفوية الأولى إلى الثانية، فهذا الكليني من أبرز علمائهم في القرن العاشر الميلادي يقول في أشهر كتبه وأهمها عند القوم في قوله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ » (البقرة:١٦١). يقول: إنها نزلت في أبي بكر وعمر.

وفي قوله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ » (محمد:٢٥). يقول: إنهم آمنوا بالنبي في أول الأمر وكفروا حين عرضت عليهم ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وارتدوا عن الإيمان بترك ولاية علي، وفي قوله تعالى: «رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ » (فصلت:٢٩). قال: هما أبو بكر وعمر. هذا قول الكليني، أما المجلسي يقول في شرحه للكليني: «إن الجن المذكور في الآية هو عمر بن الخطاب»!

والمجلسي هذا المعروف بمحمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١٦٩٨م من أشهر علماء الدولة الصفوية الأولى، فماذا عن الدولة الصفوية الثانية وما موقف مؤسسها الخميني من أبي بكر، وعمر، وسائر الصحابة، بل ما موقفها من أبي بكر، وعمر، وسائر الصحابة، بل ما موقفها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الله سبحانه وتعالى، وإليك الشواهد من نصوص وكتب الخميني.

فأما موقفه من أبي بكر وعمر فيقول في كتابه «كشف الأسرار» (ص١٢٦): «إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين وما قاما به من

مخالفات للقرآن ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللاه وحرماه من عندهما وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي وضد أولاده، ولكنا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين». اهـ.

وفي ص١٢٦ من نفس الكتاب يقول: «إن أبا بكر كان يجهل أحكام القاصرين والإرث، ولم يطبِّق أحكام الله في خالد بن الوليد». اهـ مختصرًا.

وفي ص١٢٨ من ذلك الكتاب أيضًا يقول عن عمر: «أما عمر فإن أعماله أكثر من أن تُحصَى وتُعد». ثم يقول في ص١٢٧ من كتابه «كشف الأسرار»: «إن مثل هؤلاء الأفراد الجهال الحمقى والأفاقين والجائرين غيرُ جديرين أن يكونوا في موضع الإمامة، وأن يكونوا ضمن أولي الأمر». اهـ.

وهو يقصد بذلك أبا بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، ويزيد بن معاوية، وغيرهم، قاتله الله، بل يوجه اتهامه إلى سائر الصحابة، فيقول في ص١١٤ من «كشف الأسرار» عن الصحابة الأبرار: «ما صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلا من أجل الدنيا لا من أجل الدين ونشره». اهـ. ولم يستثنِ من الصحابة إلا عددًا قليلاً، فيقول في نفس الكتاب ص١٢٨: «في هذه الأيام قام كبار الصحابة من المعروفين بالنزاهة وطهارة الدين مثل: أمير المؤمنين علي، والحسن، والحسين، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، والعباس، وابنه برفع راية المعارضة». اهـ.

فهؤلاء عنده وعند الشيعة بوجه عام هم الأطهار، وغيرهم ليسوا كذلك.

وقد بلغ السفه بالخميني وأمثاله أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم تبليغ دعوة الله تعالى، فيقول ص١٥٥ من كتابه «كشف الأسرار» تعليقًا على قوله تعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة:٣)، يقول: «وواضح بأن النبي لو بلغ أمر الإمامة طبقًا لما أمر الله وبذل المساعي في هذا المجال لما نشبت الخلافات في البلدان الإسلامية والمشاحنات والمعارك، ولما ظهر ثمة خلافات في أصول الدين وفروعه». اهـ.

يا الله!! انظر أخي الكريم كيف يتهم هذا السفيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ذات الوقت يتهم الله الذي أرسله، بل هو يصرح باتهام المولى عز وجل فيقول في ص١٠٧ من ذلك الكتاب: «نحن نعبد إلهًا نؤمن به أقام كل شيء على العقل والحكمة، وليس الإله الذي يقيم عمارة عبادته وعدالته ودينه ثم يحاول بعد ذلك هدمها فيرسل هؤلاء الظلمة من أمثال يزيد ومعاوية وعثمان ليتولوا الإمارة والحكم». اهـ.

اللهم لا حول ولا قوة إلا بك، سبحانك على حلمك بعد علمك، سبحانك على عفوك بعد قدرتك، انظر أيها القارئ الكريم كيف تجرأ هذا الأحمق على الله وعلى رسوله وعلى أصحابه، وهو يدعي العقل والحكمة، تعالى الله على يقولون.

وهو ليس وحده في هذا، بل سبقه أسلافه على نفس الاعتقاد الهدام، فهذا المسمى بنعمة الله الجزائري المتوفى سنة ١٧٠٠م من أشهر علماء الشيعة في الدولة الصفوية الأولى يقول في كتابه المسمى بـ«الأنوار النعمانية» (ص٢٧٩): «إنا لم نجتمع معهم (أي: أهل السنة) على إله ولا على نبي ولا على إمام؛ وذلك أنهم يقولون إن ربهم هو الذي كان محمد صلى الله عليه وآله نبيه وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا». اهـ. وهكذا أشهد القوم على أنفسهم بالكفر والضلال إن لم يكن الرب الذي رسوله محمد وخليفته أبو بكر ليس ربكم فمن ربكم إذن؟ أربكم الشيطان؟ أم الهوى؟!

نعوذ بالله من الضلال والخذلان، وللحديث بقية إن شاء الله.

الشفاعة في الدنيا والآخرة

الْحَمْدُ للَّه الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً.

أَمَّا بَعْدُ: فإن الشفاعة من أمور العقيدة المهمة، ولها أحكام تتعلق بها، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد صلاح نجيب الدق

معنى الشفاعة:

الشفاعة في اللغة:

الشَّفَاعَةُ: الطلبُ. والشَّفَاعَةُ: كَلَامُ الشَّفِيعِ لِلْمَلِكِ في حَاجَةٍ يسألُها لغَيْرِه، وشَفَعَ إليه: طَلَبَ إليه. والشَّافِعُ: الطَّالِبُ لِغَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ شُفَعاءُ. (لسان العرب لابن منظور جـ٤ صـ٢٢٨٩).

الشفاعة في الشرع:

التوسط للغير بجلب منفعة مشروعة له، أو دفع مضرة عنه. (العقيدة الصافية لسيد عبد الغني صـ١٨٤).

الحكمة من الشفاعة:

تكريمُ الله تعالى للشافعين ورفعُ شأنهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، وإفاضة كرم الله وعفوه على المشفوع لهم. (الإيمان باليوم الآخر لأحمد البيانوني صـ٨٣).

أنواع الشفاعة:

الشفاعة نوعان: شفاعة في الدنيا وشفاعة في الآخرة وسوف نتحدث كل منهما.

أولاً: الشفاعة في الدنيا:

الشفاعة في الدنيا منها ما هو مشروع ومنها ما هو غير مشروع.

قال الله تعالى: (مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا) (النساء: ٨٥).

قَالَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ: نَزَلَتْ هَذه الْآيَةُ في شَفَاعَاتِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ. (تَفْسِير ابْن كثير جـ٤صـ١٨٢).

قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): قَوْلُهُ: (مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصيبٌ منْها) أي من يسعى في أمر فيترتب عَلَيْه خَيْرٌ كَانَ لَهُ نَصيبٌ منْ ذَلكَ، (وَمَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كفْلٌ منْها) أَيْ يَكُونُ عَلَيْه وزْرٌ منْ ذَلكَ الْأَمْر الَّذي تَرَتَّبَ عَلَى سَعْيه وَنيَّته. (تفسير ابن كثير جـ٤صـ١٨٢).

أولاً: الشفاعة الدنيوية المشروعة:

الشفاعة المشروعة هي التي يترتب عليها قضاء حوائج الناس المشروعة.

عن أَبي مُوسَى الأشْعَري، رَضيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم إذَا جَاءَهُ السَّائلُ أَوْ طُلبَتْ إلَيْه حَاجَةٌ قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضي اللَّه عَلَى لسَان نَبيِّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا شَاءَ» (البخاري حديث: ١٤٣٢، ومسلم حديث: ٢٦٢٧).

وعَن ابْن عَبَّاس، أَنَّ زَوْجَ بَريرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إلَيْه يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكي وَدُمُوعُهُ تَسيلُ عَلَى لحْيَته، فَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لعبَّاس: «يَا عَبَّاسُ، أَلاَ تَعْجَبُ منْ حُبِّ مُغيث بَريرَةَ، وَمنْ بُغْض بَريرَةَ مُغيثًا» فَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ رَاجَعْته» قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله تَأْمُرُني؟ قَالَ: «إنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ» قَالَتْ:

لاَ حَاجَةَ لي فِيه.(البخاري حديث: ٥٢٨٣)

ثانياً: الشفاعة الدنيوية غير المشروعة:

تحرمُ الشفاعة في إقامة الحدود إذا وصلت إلى ولي أمر المسلمين أو من ينوب عنه، وكذلك تحـرمُ الشفاعة في كل أمـر يترتبُ عليه ظلمٌ للناس، أو أخْذُ شيءٍ بغير حقٍ.

(١) عَنْ عَائشَةَ رَضيَ اللّه عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فيهَا رَسُولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؟ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرئُ عَلَيْه إلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللّه صلى اللّه عليه وسلم فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم أَتَشْفَعُ في حَدٍّ منْ حُـدُود اللّه ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إنَّمَا أَهْلَكَ الَّذينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فيهمْ الشَّريفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فيهمْ الضَّعيفُ أَقَامُوا عَلَيْه الْحَدَّ وَايْمُ اللّه لَوْ أَنَّ فَاطمَةَ بنْتَ مُحَمَّد سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا. (البخاري حديث ٣٤٧٥، ومسلم حديث١٦٨٨)

(٢) عَنْ يَحْيَى بْنِ رَاشد، قَالَ: جَلَسْنَا لعَبْد اللّه بْنِ عُمَرَ فَخَرَجَ إلَيْنَا فَجَلَسَ، فَقَالَ: سَمعْتُ رَسُـولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم يَـقُـولُ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ منْ حُدُود اللّه، فَقَدْ ضَادَّ اللّه»(حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني حديث: ٣٠٦٦)

(٣) عَنْ الزُّبَيْر بْن الْعَوَّام، رَضيَ اللّه عَنْهُ، قَالَ: اشْفَعُوا في الْحُدُود مَا لَمْ تَبْلُغ السُّلْطَانَ، فَإذَا بَلَغَت السُّلْطَانَ فَلا تَشْفَعُوا. (إسناده صحيح، السنن الكبرى للبيهقي جـ٨صـ٥٧٧).

ثانياً: الشفاعة في الآخرة (يوم القيامة)

أجمع أهـل السُّنَّة على ثبوت الشفاعة في الآخـرة، وتشتمل على نوعين: شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية. وسوف نتحدث عن كلٍ منهما.

أولاً: الشفاعة المثبتة:

الشفاعة المثبتة المقبولة هي الشفاعة التي أثبتها اللّه تعالى في كتابة العزيز ، وهي خاصة بأهل التوحيد.

(١) قال تعالى(مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ) (البقرة: ٢٥٥).

(٢) وقـال سبحانه (وَلَا يَشْفَعُونَ إلَّا لمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ منْ خَشْيَته مُشْفقُونَ) (الأنبياء: ٤٨).

(٣) وقال جل شأنه (يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا) (طه: ١٠٩) (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٢٦٥).

شروط الشفاعة المقبولة:

الشفاعة المقبولة عند اللّه تعالى لا بد أن تتوفر فيها ثلاثةُ شروطٍ هي:

أولاً: إسلام المشفوع له.

قال اللّه تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (غافر: ١٨).

قال الإمامُ البيهقيُّ (رحمه اللّه): الظَّالمُونَ هَاهُنَا هُمُ الْكَافرُونَ، وَيَشْهَدُ لذَلكَ مُفْتَتَحُ الْآيَة إذْ هيَ في ذكْر الْكَافرينَ. (شعب الإيمان للبيهقي جـ١صـ٤٧١).

وقـال الإمـامُ ابـنُ كثير(رحمه اللّه): قوله سبحانه وتعالى: (مَـا للظَّالمينَ مـنْ حَميم وَلا شَفيع يُطاعُ) أَيْ لَيْسَ للَّذين ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالشرْك باللّه منْ قَريبٍ منْهُمْ يَنْفَعُهُمْ وَلَا شَفيع يُشَفَّعُ فيهمْ بَلْ قَدْ تَقَطَّعَتْ بهمُ الْأَسْبَابُ منْ كلِّ خير. (تفسير ابن كثير جـ١٢ صـ١٨١).

ويُستثنى من المشركين أبو طالب فإنه يكون في قليل من نار، تغلي منها دماغه.

ثانياً: رضا اللّه تعالى عن الشافع والمشفوع له.

قـال تعالى (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ) (النجم: ٢٦)

وقال جل شأنه: (وَلَا يَشْفَعُونَ إلَّا لمَن ارْتَضَى وَهُمْ منْ خَشْيَته مُشْفقُونَ) (الأنبياء: ٤٨).

ثالثاً: إذن اللّه تعالى بالشفاعة.

قال سبحانه: (مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ) (البقرة: ٢٥٥)

وقال تعالى: (مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ

ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (يونس: ٣) (الشفاعة لمقبل الوادعي صـ١٣: ١٢).

أنواع الشفاعة المثبتة:

(١) شفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين:

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهِ عليه وسلم يَقُولُ اللهِ عَزَّ وَجَل: شَفَعَتِ الْمَلَائكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إلَّا أَرْحَمُ الرَّاحمينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً من النَّار، فَيُخْرِجُ منْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقيهمْ فِي نَهَر فِي أَفْوَاه الْجَنَّة يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيل السَّيْل. (مسلم حديث: ١٨٣)

وعَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ، (وذلك في حديث الشفاعة) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (وهو يتحدث عن المؤمنين الذين نجاهم الله من النار) وَإذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إخْوَانهمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهِ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبه مثْقَالَ دينَار منْ إيمَان فَأَخْرجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّار، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّار إلَى قَدَمه، وَإلَى أَنْصَاف سَاقَيْه، فَيُخْرجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبه مثْقَالَ نصْف دينَار فَأَخْرجُوهُ، فَيُخْرجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبه مثْقَالَ ذَرَّة منْ إيمَان فَأَخْرجُوهُ، فَيُخْرجُونَ مَنْ عَرَفُوا. (البخاري حديث: ٧٤٣٩، ومسلم حديث: ١٨٣)

(٢) شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم:

لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم شفاعات عديدة يوم القيامة وهي:

(١) الشفاعة العظمى له صلى الله عليه وسلم للفصل بين العباد،وهي المقام المحمود الذي وعده الله تعالى به.

وهذه الشفاعة خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء والمرسلين.

(٢) شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول المؤمنين الجنة.

(٣) شفاعته صلى الله عليه وسلم لأقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، أن يدخلوا الجنة.

(٤) شفاعته صلى الله عليه وسلم لأقوام من أهل الجنة، وذلك برفع درجاتهم فيها.

(٥) شفاعته صلى الله عليه وسلم في إخراج العُصاة من الموحدين من النار، ودخولهم الجنة.

(٦) شفاعته صلى الله عليه وسلم في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، فيكون في قليل من نار، تغلي منها دماغه.

(٧) شفاعته صلى الله عليه وسلم لأقوام من الموحدين، قد استوجبوا دخول النار، فيشفع لهم ألا يدخلوها.

(٨) شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب كعُكاشة بن محْصن، رضي الله عنه. (شرح العقيدة الطحاوية جـ ١ صـ٢٧٤: صـ٢٨٤)، (النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير جـ٢ صـ٢٠٢: صـ٢٠٩).

أسباب الشفاعة في الآخرة:

(١) تلاوة القرآن:

عَنْ أبي أُمَامَةَ الْبَاهلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإنَّهُ يَأْتي يَوْمَ الْقِيَامَة شَفِيعًا لأَصْحَابِه. (مسلم حديث ٨٠٤)

(٢) الإكثار من الصلاة:

عَنْ زِيَاد بْنِ أَبي زِيَاد، مَوْلَى بَنِي مَخْزُوم، عَنْ خَادم للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، رَجُلٍ أَوْ امْرَأَة، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَقُولُ لِلْخَادم: « أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، حَاجَتي قَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: حَاجَتي أَنْ تَشْفَعَ لي يَوْمَ الْقيَامَة، قَالَ: وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: رَبِّي(أي سيده) قَالَ: إمَّا لَا، فَأَعنِّي بكَثْرَة السُّجُود.(حديث صحيح، مسند أحمد جـ٢٥صـ ٤٧٩ حديث: ١٦٠٧٦)

(٣) الصيام:

عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو بن العاص: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ

يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ. (حديث صحيح، صحيح الجامع للألباني حديث: ٣٨٨٢).

(٤) صلاة الجنازة على الميت:

عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ. (مسلم حديث ٩٤٧)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ أَوْ بِعُسْفَانَ فَقَالَ يَا كُرَيْبُ انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ النَّاسِ. قَالَ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدْ اجْتَمَعُوا لَهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَخْرِجُوهُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللَّهُ فِيهِ. (مسلم حديث ٩٤٨)

(٥) ترديد الأذان والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم طلب الوسيلة له:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» (مسلم حديث: ٣٨٤)

(٦) سكنى المدينة والصبر على شدائدها:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «مَنْ صَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا، كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي الْمَدِينَةَ. (مسلم حديث: ١٣٧٧)

(٧) الشهادة في سبيل الله:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ. (حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني حديث: ٢٢٠١).

(٨) دعاء الأولاد الصالحين لآبائهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ. (حديث حسن: صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٢٩٥٣).

ثانياً: الشفاعة المنفية:

الشفاعة التي نفاها القرآنُ الكريمُ هي الشفاعة للمشركين. (فتح المجيد صـ٢٣٨)

(١) قال الله تعالى (وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) (البقرة: ٤٨).

(٢) وقال سبحانه (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ) (البقرة: ٢٥٤).

(٣) وقال سبحانه: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ) (الأنعام: ٥١).

(٤) وقال جَلَّ شأنه (فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) (الشعراء ١٠٠: ١٠٣).

(٥) وقال تعالى (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (غافر: ١٨).

المسلم الذي لا يقبل الله شفاعته يوم القيامة:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (مسلم حديث: ٢٥٩٨).

اللعن: هو الطردُ من رحمة الله تعالى التي وسعت كلَّ شيء.

اللَّعَّانُون: الذينَ يُكْثرُونَ مِن اللعْن.

وآخِرُ دَعْوَانا أنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى الله وسَلَّمَ عَلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

نظرات في: أحكام فُرقة الطلاق (٢)

إعداد **محمد عبد العزيز**

الحمد لله الكريم المنان ذي الطول والفضل والإحسان والإنعام، الذي هدانا للإيمان، وصلاةً وسلامًا على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فهذا هو المقال الثاني في أحكام فُرقة الطلاق، وسوف أتناول فيه ما تيسر من: أركان الطلاق، وشروط كل ركن منها، حتى يُتصور الباب تصوّرًا كليًّا، فهذه هي الغاية من هذا المقال، فأقول وبالله التوفيق:

أركان الطلاق:

أولاً: الركن هو جزء الذات، أي: الحقيقة الداخلة فيه؛ كالركوع جزء من حقيقة الصلاة.

ثانيًا: الشرط: وصف في أجزاء الحقيقة، مثل: اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، فالطهارة ليست من حقيقة تركيب الصلاة، وإن كانت وصفًا ضروريًّا لصحتها، فالشرط هو: ما خرج عن ذات الشيء وحقيقته.

ثالثًا: أركان الطلاق ثلاثة: المطلق، والمطلقة، والصيغة.

وللطلاق شروط ترجع إلى كل ركن من هذه الأركان الثلاثة، وبيان ذلك:

أن الركن الأول: المطلّق يشترط فيه:

- أن يكون المطلّق: زوجًا، فلا يصح طلاق المرأة الأجنبية ولو علق طلاقها على زواجها، لأدلة منها:

١ - حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فقال: يا رسول الله، إن سيدي زوّجني أمَته، وهو يريد أن يفرّق بيني وبينها. قال: فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فقال: «يا أيها الناس، ما بال أحدكم يزوّج عبدَه أمَتَه، ثم يريد أن يفرّق بينهما، إنما الطلاق لمن أخذ بالساق». (أخرجه ابن ماجه (٢٠٨١)، والطبراني في أكبر معاجمه (١١٨٠٠)، والدارقطني (٣٩٩١)، والبيهقي

(١٥١١٦)، وحسنه الألباني لغيره في إرواء الغليل (٧/ ١٠٨ / ٢٠٤١)).

٢ ـ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا نذر لابن آدم فيما لا يملك، ولا عتق له فيما لا يملك، ولا طلاق له فيما لا يملك». (أخرجه أبو داود (٢١٩٠)، والترمذي (١١٨١)، وابن ماجه (٢٠٤٧)، وأحمد (٦٧٦٩)).

٣ ـ حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا طلاق قبل نكاح، ولا عتق قبل ملك» (أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٨)، وهو حديث حسن بشواهده، قال ابن الملقن في البدر المنير (٨/٩٥)؛ وقال ابن عبد البر في استذكاره: إن هذا الحديث قد رُوِيَ من وجوه، إلا أنها عند أهل العلم بالحديث، معلولة. قلت- القائل ابن الملقن-: وقد عرفت صحة بعضها من كلام الترمذي، والحاكم، والبيهقي وغيرهم، ولا يقدح فيها بعض طرقها الضعيفة).

والطلاق من العقود التي تصح فيها الإنابة، ولذلك صور:

ـ منها: لو أرسل إلى الزوجة مَن يبلِّغها بوقوع الطلاق عليها، ومن أمثلة ذلك حديث عُبيد الله، قال: «أرسل مروانُ إلى فاطمة، فسألها، فأخبرته: أنها كانت عندَ أبي حفص، وكان النبي صلَّى الله عليه وسلم أمَّر علي بن أبي طالب-يعني على بعض اليمن- فخرج معه زوجها، فبعث إليها بتطليقة كانت بقيت لها...». (أخرجه أبو داود (٢٢٩٠).

- ومنها وكالة الغير في إيقاع الطلاق، وتبطل بالفسخ، أو بوطء الزوجة بعد التوكيل.

ـ ومنها: تخيير الزوجة، وتمليكها طلقة، ومثال ذلك تخيير النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه، قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٢٨، ٢٩)، وعن عائشة رضي الله عنها: «قد خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاخترنا الله ورسوله، فلم يعد ذلك طلاقا». (أخرجه عبد الرزاق ١١٩٨٤).

لكن قيل: إن ذلك لم يكن تخيير طلاق، قال معمر: وأخبرني من سمع الحسن يقول: «إنما خيَّرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الدنيا والآخرة، ولم يخيرهن في الطلاق».

ومن الشروط التي يجب توافرها في الزوج حتى يقع طلاقه:

١- أن يكون بالغًا عند الجمهور، ولم يشترط الحنابلة البلوغ، بل لو كان مميزًا وقع طلاقه.

٢- أن يكون عاقلاً، فلو ذهب العقل بجنون سواء كان مطبقًا أو يصيبه حينًا ويذهب حينًا فأوقع الطلاق حين ذهابه فلا يقع.

والدليل على هذين الشرطين حديث عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رُفِعَ القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق». (أخرجه النسائي في المجتبى ٣٤٣٢، وابن ماجه ٢٠٤١).

ولو ذهب العقل بعقار تعطاه فلا يقع الطلاق إن كان عن ضرورة كالبنج، وأما طلاق السكران باختيار نفسه فعند الجمهور أنه واقع، والراجح عدم إيقاعه؛ لحديث أبان بن عثمان، عن عثمان، رضي الله عنه قال: «كل الطلاق جائز إلا طلاق النشوان وطلاق المجنون». (أخرجه سعيد بن منصور ١١١٢، والبيهقي في المعرفة ١٤٨١٩).

قال البيهقي في المعرفة (١١/٧٦): «وبه قال القاسم بن محمد، وطاووس، وعطاء، وأبان بن عثمان، وعمر بن عبد العزيز، وبه قال من أصحابنا أبو ثور، والمزني».

وقال ابن عبد الهادي في التنقيح (٣/٥٢٠): «إذا حلف الحالف بالطلاق، وهو سكران ففيه قولان للعلماء، هما روايتان عن أحمد بن حنبل:

- أشبههما بالكتاب والسنة أنه لا يقع، وقد ثبت ذلك عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولم يثبت عن صحابي خلافه، وهو القول القديم للشافعي، وقول بعض أصحاب أبي حنيفة، وقول كثير من السلف، والفقهاء.

والثاني: أنه يقع، وهو المشهور من مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك.

وزعم طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد أن النزاع إنما هو في النشوان الذي قد يفهم ويغلط، فأما الذي تمَّ سُكْره بحيث لا يفهم ما يُقال له فإنه لا يقع به قولاً واحدًا، إلا أن الأئمة الكبار جعلوا النزاع في الجميع».

٣- أن يكون مختارًا، فإن كان مكرهًا فلا يقع طلاقه على الراجح؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه». (أخرجه ابن ماجه ٢٠٤٥، وهذا الحديث روي مرفوعًا عن ثمانية من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، منهم: أبو هريرة، وأبو ذر، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن عمر، وغيرهم، ينظر: البدر المنير ٤/١٧٧).

- أن يكون قاصدًا لإيقاع الطلاق في الطلاق الكنائي، أو قاصدًا للفظ في الطلاق الصريح، فالقاعدة: أن اللفظ غير معتبر في الطلاق الكنائي، وإنما يُعتبر المعنى، والعكس بالعكس في الطلاق الصريح؛ لأن جده وهزله سواء.

وهنا قاعدة مهمة في ألفاظ الطلاق لا بد من ضبطها، وهي:

١- إن المكلف قد يقصد اللفظ والمعنى؛ فطلاقه واقع باتفاق، ولو كان مازحًا لحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ثَلاثٌ جِدُّهنَّ جِدٌّ، وهَزْلُهنَّ جِدٌّ: النِّكاحُ، والطَّلاقُ، والرَّجْعةُ». (أخرجه أبو داود ٢١٩٤، والترمذي ١٢٢٠، ابن ماجه ٢٠٣٩. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم. وقد حسنه الألباني لغيره في إرواء الغليل (٦/ ٢٢٤ / ١٨٢٦)).

٢- إن المكلف قد يقصد المعنى، واللفظ يحتمله، فهو الطلاق الكنائي، وهو واقع، ومنها لفظ: الحقي بأهلك فهو لفظ يحتمل الطلاق ويحتمل غيره، وقد قاله كعب بن مالك كما جاء في صحيح البخاري (٤٤١٨)، وصحيح مسلم (٢٧٦٩)، فلم يقع به الطلاق، وقاله النبي صلى الله عليه وسلم للجونية: أميمة بنت النعمان كما جاء في صحيح البخاري (٤٩٥٥) فوقع به الطلاق.

٣- إن المكلف قد يقصد المعنى، واللفظ لا يحتمله، فلا يقع به الطلاق قولاً واحدًا. كأن يقول لامرأته: أنت مهذبة، يريد بها إيقاع الطلاق؛ فلا يقع لأن اللفظ لا يحتمله.

٤- إن المكلف قد لا يقصد المعنى ولا اللفظ، لكنه يخطئ ويسبق إلى لسانه، كأن يقصد أن يقول لامرأته: أنت طاهر، فيسبق إلى لسانه: أنت طالق، فهذا يُدَيَّنُ فيما بينه وبين ربه.

ومن المسائل المهمة أن الزوج المكلف قد يقع في نفسه طلاق امرأته فيطلقها في نفسه طلاقًا صريحًا، فلا يقع بذلك الطلاق؛ لحديث قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدّثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تتكلم» قال قتادة: «إذا طلق في نفسه فليس بشيء». (أخرجه البخاري ٥٢٦٩، ٦٦٦٤، ومسلم ٢٠٢).

الركن الثاني: المطلقة.

ويشترط فيها: أن تكون زوجة في زواج صحيح، فإن كانت غير زوجة لم يقع عليها الطلاق، وإن كان العقد باطلاً لم يقع عليها الطلاق لأنها أجنبية.

فالطلاق لا يصح إلا من زوج، ولا يقع إلا على زوجة، ويختص الزوج بالطلاق، وإن اشتركا الزوجان في عقد النكاح.

الركن الثالث: الصيغة:

ويشترط فيها: أن تكون صيغة صريحة كألفاظ الطلاق والفراق والسراح، أو كنائية تحتمل الطلاق وغيره، كقوله: الحقي بأهلك، أو أنت حرة، أو حبلك على غاربك. ويشترط في الطلاق الكنائي لا الصريح حينئذ النية.

وهذه الصيغة تنقسم بالنسبة إلى إيقاعها إلى أربعة أقسام:

الأول: أن تكون منجزة، كأن يقول لامرأته: أنت طالق، فيقع به طلقة منجزة إجماعًا.

الثاني: أن تكون معلقة على فعل أمر أو تركه، وهي التي تسمى إيقاع الطلاق على شرط؛ كأن يقول: إن فعلت كذا فأنت طالق، ويقع بها الطلاق إجماعًا إن وقع المعلَّق عليه؛ حكى الإجماع ابن حزم في مراتب الإجماع (ص٧٢).

الثالث: أن يضيف الطلاق إلى زمن؛ فيقع الطلاق مضافًا إلى زمنه إجماعًا، كأن يقول: إن دخل رجب فأنت طالق، حكى الإجماع ابن حزم في مراتب الإجماع (ص٧٢).

الرابع: أن يقسم بالطلاق على أمر كأن يقول: والطلاق لأفعلن كذا وكذا لأمر مستقبل، أو بالطلاق حدث كذا وكذا لأمر مضى، وهذا قد اختلفوا في وقوعه إذا حنث أو كذب، قال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص٧٣): «واختلفوا في الطلاق إذا خرج مخرج اليمين أيلزم أم لا».

الطلاق السني والبدعي:

والطلاق في الشرع يراعى فيه الوقت والعدد والصيغة، وعليه ينقسم الطلاق إلى ثلاثة أقسام بالنسبة لهذه الثلاثة:

القسم الأول: طلاق سُنة.

القسم الثاني: طلاق بدعة.

القسم الثالث: طلاق لا سُنة فيه، ولا بدعة في الوقت.

وهذا التقسيم الثلاثي للطلاق هو تقسيم الحنابلة، والجمهور على تقسيم الطلاق إلى بدعي، وسني.

أما القسم الأول: طلاق السنة فهو: طلاق المدخول بها خاصة؛ فيكون سنة باتفاق إذا تحقق فيه أربعة شروط:

الأول: أن يكون في طهر، فإن كان في حيض كان بدعة.

الثاني: ألا يجامعها في هذا الطهر قبل طلاقها، فإن جامعها ثم طلقها كان بدعة.

الثالث: أن يطلقها طلقة واحدة، فإن جمع أكثر من طلقة كان بدعة عند الحنفية، والمالكية، وهو قول عند الحنبلية، وهو الراجح، وهو عند الشافعية، والظاهرية، والقول الآخر عند الحنبلية هو طلاق سنة.

الرابع: ألا يُتبع الطلقة الطلقة قبل الرجعة، وهذا شرط ليكون سنيًّا عند المالكية.

القسم الثاني: طلاق بدعة فهو أيضًا في طلاق المدخول بها، ويكون بدعة في خمسة أحوال:

الأولى: أن يطلقها في حيض، وعند المالكية أو نفاس.

الثانية: أن يطلقها في طُهر جامَعها فيه.

الثالثة: أن يجمع عليها أكثر من طلقة، وقد سبق ذكر الخلاف فيه.

الرابعة: أن يسبقها بطلقة في حيض أو طهر، وهو مذهب المالكية.

الخامس: أن يُتبعها بطلقة قبل الرجعة، وهو مذهب المالكية.

أما العلة في كونه بدعة فلأمرين:

الأول: لأنها طُلقت في زمان لا يحتسب به من عدتها.

الثاني: أن المجامعة في طهرها يشكل أمرها هل علقت منه فلا تعتبر بالأقراء، وتعتد بوضع الحمل، أو لم تعلق منه فتعتد بالأقراء.

ويجمع هذين الأمرين قوله تعالى: «إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ» (الطلاق: ١).

القسم الثالث: طلاق لا سنة فيه، ولا بدعة في الوقت، وهو طلاق أربع نساء:

١- المرأة الحامل التي تبين حملها، فلم يشكل أمرها في الاعتداد بالوضع.

٢- المرأة الأيس التي لا تحيض، فلم يشكل أمرها فتعتد بالشهور.

٣- الصغيرة التي لا تحيض، فلم يشكل أمرها فتعتد بالشهور.

٤- غير المدخول بها؛ لأنه لا عدة لها.

هذا ما يسره الله تعالى في هذا المقال، والحمد لله رب العالمين.

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً فى العالم
٤٦
مجلدة
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

ثمن الكرتونة

١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تتباهى بها!

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسرة المسلمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد

☎ 23936517

تمور الطحان ®
أصالة الزمان
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
شركة حاصلة على شهادة
ISO 22000
Safety Seal
تمور الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع فى
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com

(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

خدمة العملاء
01284447778
01128911113

قلعة صناعة التمور فى مصر